5 me Année, No. 184

Lundi - 11 - 1 - 1937

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
الشهة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ١٨٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ شوال سنة ١٣٥٥ — ١١ يناير سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــــدد

صفحة		
٤١	ذكرى ميلاد	أحمد حسن الزيات ... ...
٤٣	الشمس	الأستاذ أحمد أمين ... ...
٤٥	القلب المكين	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٤٩	الريف	الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى
٥٠	الخليفة العزيز بالله	الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٥٣	صفحة من طفولتى	الأستاذ خليل هنداوى ...
٥٥	الأدب العامى فى الأدبين العربى والانجليزى	الأستاذ نجرى أبو السعود ...
٥٩	نظرية النبوة عند الفارابى	الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
٦١	قصة المكروب	الدكتور أحمد زكى ... ...
٦٥	هكذا قال زرادشت	للفيلسوف نيتشه ... ...
٦٧	تاريخ الأدب العربى	الأستاذ رينولد نيكلسون ...
٦٩	ألست التى (قصيدة) ...	الأستاذ محمود محمد شاكر ...
٧٠	فرانسسكو جويا	الدكتور أحمد موسى ... ...
٧٣	توحيد الثقافة العربية	
٧٣	لجنة تفسير القرآن تحدد الغرض وتضع القواعد	
٧٤	وفاة شاعر تركيا الكبير محمد عاكف بك	
٧٥	كتاب الأشباح . وفاة الشاعر الفيلسوف الأسبانى أومانومو	
٧٦	معجم الأدباء (كتاب)	الدكتور عبد الوهاب عزام ...
٧٩	شركة افلام الشرق وإخراج فلم (نشيد الأمل)	ناقد (الرسالة) الفنى ... ...
٧٩	الفاكهة المحرمة (رواية)	» » » ... ...

ذكرى ميـــلاد ...

فى مثل هذا الأسبوع من عام ١٩٣٢ وأنا فى دار السلام، هبط علىّ برق الأثير هبوط الملك البشير على زكريا الواهن اليائس. بشّرنى بأن اسمى قد اشترك، ووجودى قد ازدوج، وعمرى قد امتد، وأصلى قد تفرّع! فأخذنى شعور لا عهد لى بمثله؛ لا أصفه لأنه أعمق من الإدراك، ولا أناه لأنه أوسع من الذاكرة. هو شعور خليط مبهم؛ لا هو حماسة، ولا هو نشوة، ولا هو جذل، ولا هو غبطة؛ وإنما هو كل أولئك وشىء آخر لا أدريه، لوّن مشاهد الطبيعة بألوان الأمل، وعطّر نسائم (دجلة) بروائح الجنة، وزيّن مغانى الكرخ بأوشية السحر. فخرجتُ إلى بساتين (الصالحية) وفى إهابى المشبوب رجل آخر، يحيا لأنه يحب الحياة، ويعمل لأنه يريد العمل، ويُزهَى لأنه يسعى لأسرة. مررت بالأطفال الذين كنت أراهم كل يوم، فبدت لى فى قسماتهم وبسماتهم معانٍ جديدة. لم يعودوا شقاء الوالدين وهمّ الحياة كما كنت أشعر، وإنما أصبحوا كطفلى

بهجة الوجود وراحة المكدود ورجاء المستقبل ؛ ثم وجدتني آنس بكل أب ، وأسكن إلى كل أم ، وأشعر كما يشعر كل والد بحملٍ رخيٍّ رضيٍّ يثقل رويداً رويداً على البال المطمئن الوادع ! !

* * *

عدت إلى مصر فرأيتني أرسخ في الوطنية لأني عدوت أصلاً من أصولها ، وأعزّ في القرابة لأني صرتُ فصلا من فصولها ؛ ثم تجددت الأفراح ، وتسابقت التهاني ، وتنافست الهدايا ، وتعاقبت المآدب ، وغرقت الدار الكئيبة في فيض من البهجة ، ورقصت الروضة الموحشة على ألحان البلبل ، ورفرفت السعادة المشة على مهد الوليد

وكان العُش الآمن الغارّ يعلن في كل رابع عشر من شهر يناير ذكره للنعمة وشكره لله ؛ فيرفّ للأصدقاء بالأنس ، ويخف للفقراء بالصدقة ، وتتفتح مصاريعه الضاحكة لتهنئات الصحاب ودعوات الأحبة ، ويخرج المرموق المشوق صاحب العيد في زينته وبهجته كالسوسنة الغضة ، يقابل مهنئيه ، ويتقبل هداياه ، ويستعرض لعبه ، ويُشعُّ على الحفل البهيج من روحه الجذاب ، وحسنه الفاتن ، وذكائه الباكر ، إشعاعاً من وراء المعلوم لا يدركه إلا الأب الحنون وإلا الأعزب الشاعر

حنانيك يا رباه ! أكل ذلك أصبح اليوم ذكرى ؟ أغلية السعادة في الأرض أن تنقلب وحشةً في النفس وظلمة في العين وحسرة في الفؤاد ؟ لا يزال صوته الصافي الجميل يرن في شعوري كله : فأنا أسمعه يقول ويده الصغيرة تجذب يدي : « يالله نشتري خروف عيدي يا بابا ... عاوز أتومبيل أحمر زيّ أتومبيل الملك يا بابا . » فأخرج معه كما يخرج الصديقان الأليفان لأمر مشترك ؛ فينتقي ثيابه بذوقه ، ويختار لعبه بنفسه ، ويقترح عليّ أن نذهب إلى (حديقة الفردوس) ، فيمشي بين أفواف الزهر ، أو على زخرف المشى ، فلا أدري أجمال الروض زها فيه فنضر حتى فتن ، أم جماله هو فاض على الروض فزها حتى بهر ! ثم يتفرق بصره المبهور بين التماثيل والتصاوير والورد ، فيذهل عن طريقه فيخوض في الماء فجأة ؛ فيخلع حذاءه وينزع جوربه ثم يدعهما للشمس ويقعد هو تحت المظلة أو فوق العشب يرسل على أبيه السعيد سيلا من الأسئلة لا ينقطع ، وفيضا من المسرة لا ينضب ؛ ثم يعود إلى بيته المزدان المرح فيستقبل في المساء أعمامه أحمد أمين وزكي وخلاف والعبادي وعوض وزناتي ويونس وسائر محبيه ومحبي أبيه ، فينقلهم بإشراق نفسه وانطلاق طبعه من عالم الناس إلى عالم الملائكة !

* * *

ثم دار الفلك ، وتجرّم العام ، وعاد اليوم الرابع عشر من شهر يناير ! ولكنه وا حسرتاه يعود هذه المرة على بيت غير البيت ، ودنيا غير الدنيا ! ! فلا العش مرحٌ بفرخه ، ولا الروض شادٍ ببلبله ، ولا الأتومبيل حالٍ براكبه !

يعود على ثياب مطوية ، ولُعَب مخفية ، وصور مستورة ، وعيون مقروحة ، وقلوب محطمة ، وآمالٍ مبيضة ! فلا بساط الأنس ممدود يا رفاق ، ولا حفلة العيد ساهرة يا أحبة !

- أجل يعود اليوم الرابع عشر من شهر يناير ، ولكنه وا لهفتاه يعود على قبر جَنِيِّ الأزاهير بين حقول القرية البعيدة ؛ تسهر عليه الشجرة الصغيرة ، وترعاه من قرب عيون الأهل !

فيا من دعوت نفسك الرءوف الرحيم ! أين أجد رأفتك فيخف أساي ، وأصيب رحمتك فيندمل جُرحي ؟

ويا شاعر العروبة ، وحكيم الدهر ، وطويد الغِيَر ؛ متى أجد مصداق بيتك المعزّي الخالد :

ستألف فِقدانَ الذي قد فقدتَه
كما لفك وِجْدان الذي أنت واجد

احمد حسن الزيات

الشـــمس

للأستاذ أحمد أمين

أى شيء أحب إلى النفس ، من المتعة هذه الأيام بالشمس ، والحديث عن الشمس ؟

فقد أقرسنا البرد حتى اصطكت منه أسناننا ، وانكمش جلدنا ، ويبست أطرافنا ، وحتى وددنا — إذا رأينا النار — أن نحتضنها ، وإذا رأينا الجمرة أن نلتهمها ؛ ولوددت فى هذه الأيام أن أكون فراناً ، أو طباخاً ، أو سائق قطار ، حتى لا أفارق النار

* * *

كل شيء فى الطبيعة جميل ، وأجمل ما فيها شمسها

وهى فى شتائنا أجمل منها فى صيفنا ، ولها فى كلٍّ جمال

فلها — صيفاً — جمال القوة ، وجمال القهر ، وجمال السفور الدائم ، نُعظِمُها ونجلها ؛ ونهرب منها ولكن نحبها . تقسو أحياناً ، ولكنا نرى الخير فى قسوتها ؛ فهى كالمربى الحكيم ، تقسو وترحم ، وتشتد وتلين ؛ تلفحنا بنارها ، ولكنها نار كنار الحب يكتوى بها قلب العاشق ، ثم هو يرجو بقاءها ، ويخشى زوالها ؛ ترسل علينا شواظاً من نار ، فتسفع جلودنا ، وتكوى جباهنا ، حتى إذا غلا جوفنا ، ووغر صدرنا ، غابت عنا ، وأرسلت رسولها اللطيف الوديع (القمر) تخفف من حدتنا ، ولطف من سَورتنا ، وأصلح ما أفسدت ، وضمد ما جرحت ؛ فاذا خشيَتْ أن نطمئن إليه ، أدركتها النيرة منه فغيبته ، وطلعت علينا ببهائها ، وجمالها وجلالها . وهكذا دواليك

* * *

وهى — شتاء — تطلع علينا بوجه آخر ، ترينا فيه جمال الحنو ، وجمال الدعة ، وجمال الرحمة والعطف ، وجمال الفادة اللعوب ، تشاغلك فتظهر وتختفى ، وتسفر وتتحجب ، وتخرج من قناعها ثم تتقنع

وتنتقم من رسولها الذى غارت منه صيفاً فتطلعه علينا فى جو بارد لا نطيقه ، حتى لا نفكر إلا فى دفئها وحسنها ، ولا نشتاق لشيء شوقنا لرؤيتها

فما أجملها قاسية وراحمة ! وما أجملها واصلة وهاجرة !

تتلون بشتى الألوان فتسحر العقول ، وتبهر العيون ؛ فهى تارة بيضاء ، وتارة صفراء ، وتارة حمراء ، ثم لا تستطيع أن تحكم هى فى أيها أبهى وأجمل ، فهى تزين ثيابها بأكثر مما تزينها ثيابها

فتحت النافذة قبل أن أكتب مقالتى فتدفقت فى حجرتى أشعتها الفضية اللامعة ، وملأتها روحاً وحياة ، وملأتنى دفئاً ، وملأتنى معانى ، وكانت حياتى فى حجرتى قبل زيارتها حياة مظلمة باردة جامدة لا معنى فيها ولا روح

* * *

خلعتِ من جمالك على الزهر ، فكان فتنة للناظرين ؛ فجماله من جمالك ، ولونه قبس من ألوانك ، وحياته مدد من حياتك ؛ فأبيضه وأحمره ، وأصفره وأزرقه ، ليس إلا نعمة من نعمك ، وأثراً من فيضك

فالوردة الحمراء ليست إلا نقطة من دمك ، والياسمين الأبيض ليس إلا لمحة من نورك ، والنرجس الأصفر ليس إلا تبراً ذائباً من شعاعك

لقد أبيْتِ على الناس أن يديموا النظر إلى جمالك ، فألهيتهم بالنظر إلى بعض آثارك ، ولوّنت الأزهار بألوانك ، وأريتهم قدرة إبداعك . فشغل الجاهلون به عنك ، وشغف به العارفون على أنه قبس منك ، يطالعون جمالك فيه ، ويقرأون معانيك فى معانيه

* * *

ثم شأنك فى البحر عجب أى عجب ! تضربينه بشعاعك ، وتلفحينه بنارك ، فيتحول ماؤه بخاراً ، يصعد إليك ليستجير منك ، ويمثل بين يديك ليمنحيه عفوك ، وتنيليه عطفك ، حتى إذا شعر برضاك ، وأمن من غضبك ، دمع دمعة السرور ، ففارقته ملوحته ، وعاد إليه صفاؤه وعذوبته ، واكتسب منك الحياة فكان ماء جارياً ، بعد أن كان ماء راكداً ، فجرى جداول وأنهاراً ، فأرسلته إلى خدمك فى الأرض من أزهار وأشجار يحيى ذابلها ، ويستخرج دفينها ، وينضج ثمارها

* * *

ثم تحركت ثلاث الحياة حولك حركة ؛ فكم من نجوم لا يعلم إلا الله تسير حولك وتحذو حذوك ؛ ثم تلعبين بالهواء من سخونة وبرودة فيتحرك ، ويتعلم منك اللعب فيلعب بالبحار والأنهار والأشجار وبكل شيء يمر به ؛ فاذا الدنيا كلها لعبة فى يده

ثم أنت أنت حرقت الأشجار والنبات ، وطمرتها تحت صفحة الأرض آلافا من السنين بعد آلاف ، حتى إذا تنبه الناس آخر الزمان فطنوا إلى أنه مستودع من مستودعاتك ، فاستغلوه فى كل ما نرى الآن من حركة ، فهو سر حركة المصانع والبواخر ، وسر حركة القطارات والآلات ، فلو قلنا إن كل حركة فى الأرض أنت مصدرها لم نبعد

* * *

تلعبين بالناس فتنيمينهم وتوقظينهم ؛ ترسلين أشعتك الجميلة على العالم فينتبه ، وتغيبين عنه فينام ؛ ثم تتداولين العالم فتنيمين قوما وتنيمين قوما ، ويراك قوم شروقا وقوم غروبا ، وقوم ليلاً وقوم نهاراً ، وقوم صيفاً وقوم شتاء ، وأنت أنت فى عليائك لا تملّين الحركة ولا تشعرين بنوم أو يقظة ، ولا بليل أو نهار

* * *

بل بك يجرى الدم فى عروقنا ، فدمنا من غذائنا ، وغذاؤنا من حرارتك ، تسلطينها على الأرض فتخرجين منها « حباً وعنبا وقضباً وزيتوناً ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبّا » ؛ بل ما أفكارنا إلا منك ؛ أليست أفكارنا من دمائنا ، أو ليست دماؤنا منك ؟

بل لقد كنت حينا من الأحيان إلـه الناس ومعبودهم ، فكنت مصدر وحيهم ، ومصدر إلهامهم ، ووجهة عبادتهم . رأوك مصدر الحياة فعبدوك ، ورأوك مصدر النعم فمجدوك ، ورأوك يحيط بك كثير من الغموض على جلالك ووضوحك فألهوك ، ورأوك أكبر النجوم فربّبوك

ثم أتى الأنبياء فرأوك تأفلين فسلبوك ألوهيتك ، ورأوك تتغيرين فحولوا عبادتهم عنك

ولكن إن سلبوك ألوهيتك فلم يسلبوك عظمتك وجمالك . بل زادت وكفاك ذلك فخراً

* * *

لست أدرى أأصاب العرب إذ أنثوها أم أصاب الانجليز إذ ذكروها ؛ لعل الانجليز رأوا القمر وادعاً جميلاً هادئاً رقيقاً فأنثوه ، ورأوا الشمس قوية قاهرة قاسية فذكروها ؛ ولكن لعل واضعى اللغة من الانجليز لو عاشوا فى عصرنا ، ورأوا ما نرى من قوة المرأة وضعف الرجل ، وجبروت المرأة واستكانة الرجل ، لرجعوا إلى رأى العرب ، وآمنوا بعد نظرهم ، وقلبوا المذكر مؤنثاً والمؤنث مذكراً

ولعل العرب أيضاً رأوا الشمس أمّ الأرض وأمّ القمر وأم الزرع فأنثوها ، إذ لا تلد إلا امرأة ؛ ورأوا القمر طفلاً يدور حول أمه فذكروه ، واحتاط العرب أن يدرك الشمس شيء مما يلحق الأنوثة فقال شاعرهم : « وما التأنيث لاسم الشمس عيب »

أما الشمس نفسها فلم تعبأ بتأنيث ولا تذكير ، كما لم تعبأ بمن أنثها وبمن ذكرها

فهى فى سمائها تؤدى رسالتها ، وتسير سيرتها ، وتبهرنا بجمالها ، وتوحى إلينا بأسرارها

فما أعظمك ! وأعظم منك من خلقك !

٤ يناير سنة ١٩٣٧ أحمد أمين

لجنة التأليف والترجمة والنشر

قصة الفلسفة الحديثة

تصنيف

أحمد أمين ، زكى نجيب محمود

أتمت لجنة التأليف طبع هذا الكتاب وهو الحلقة الثانية لقصة الفلسفة اليونانية ، وقد ترجم لأشهر الفلاسفة من عصر القرون الوسطى إلى اليوم وبيّن فلسفتهم فى أسلوب واضح

وقد حلى بصور الفلاسفة وهو فى جزءين يقعان فى نحو ٦٥٠ صفحة وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

٨ـ القلب المسكين

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وأما هو فحدّثنى بهذا الحديث العجيب من لطائف إلهامه وفنّه قال : انصرفت إلى دارى وقد عزّ علىّ أن يكون هـذا منها وأن يكون هذا منى ، وهى إن غابت أو حضرت فأنها لى كالشمس للدنيا ، لا تظلم الدنيا فى ناحيةٍ إلا من أنها تضىء فى ناحية ، فظلمتها من عمل نورها . وكانت لياتى فارغة من النوم فبتُّ أتململُ ، وجعل القلب يدقّ فى جنبىّ كأنه آلة فى ساعة لا قلب إنسان ؛ وكان فى الدنيا من حولى صمت كصمت الذى سكت بعد خطبة طويلة ، وفىّ أنا صمت آخر كصمت الذى سكت بعد سؤال لا جواب عليه ؛ وكان الهواء راكداً كالسكران الذى انطرح من ثقلة السكر بعد أن هذى طويلاً وعربد ؛ والوجودُ كلُّه يبدو كالمختنق لأن معنى الاختناق فى قلبى وأفكارى . ونظرت نظرةً فى النجوم فاذا هى تتغوّرُ نجماً بعد نجم كأن معنى الرحيل انتشر فى الأرض والسماء إذ رحلت الحبيبة ، وكأن كل وجهٍ مضىءٍ يقول لى كلمة : لا تنتظر

فلما عسعسَ الليلُ رميت بنفسى فنمت والعقل يقظان ، وصنعت الأحلامُ ما تصنع ، فرأيتها هى فى تلك الشُّقوف التى ظهرت فيها عروساً ؛ وما أعجب كبرياءَ المرأة المحبوبة ! إنها لتبدو لعينى محبها كالعارية وراء ستر رقيق يشف عنها كالضوء ، ثم تدلّ بنفسها أن ترفعَ هذا الستر ؛ فأن لم يتجرأ هو لم تتجرأ هى ؛ وكأنها تقول له : قد رفعتُه بطريقتى فارفعـه أنت بطريقتك . . .

وكانت مصوَّرة فى الحلم تصويراً آخر فلا ينسكب من جسمها معنى الحسن الذى أتأمله وأعقله ، ولكن معنى السكر الذى يترك المرء بلا عقل ؛ ولم تكن غلائلها عليها كالثياب على المرأة ، ولكنها ظهرت لى كاللون على الوردة الزاهيـة ؛ تُظهر فتنةً وتُتم فتنة

أيتها الأحـلام ماذا تُبدعين إلا مخلوقات الدم الانسانى ، ماذا تبدعين ؟

قلت : ياصديقى دع الآن هذه الفلسفة وخـذ فى قصّ ما رأيت . ثم ماذا بعد الوردة ولون الوردة ؟

قال : إنه القلبُ المسكينُ دائماً ، إنه القلب المسكين . لقد ضحكت لى وقالت : هأنذى قد جئت ، وأقبلتْ تراثينى بوجهها ، وتتغزل بعينيها ، وتتنهد بصـدرها ، وألقت يدها فى يدى فأحسست اليدين تتعانقان ولا تتصافحان ؛ ثم تركناها نائمتين إحداهما على الأخرى ، وسكتنا هُنيهةً وقد خيِّل الينا أننا إذا تكلمنا استيقظت يدانا

أما صافحتك امرأة تحبها وتحبك ؟ أما أحسست بيدها قد نامت فى يدك ولو لحظة ؟ أما رأيت بعينيك نعاس يدها وهو ينتقـل إلى عينيها فاذا هما فاترتان ذابلتان ، وتحت أجفانهما حلمٌ قصير ؟

قلت : ياصديقى دع الفلسفة ؛ ثم كان ماذا بعـد أن نامت يدٌ على يد ؟

قال : ثم كانت سخرية من الشيطان أقبح سخرية قط

قلت : حسبى لكأنك شرحت لى ما بقى . . .

فضحك طويلاً وقال : إن الشيطان يسخر الآن منك أيضاً ، وكأنى به يقول لك : وكان ما كان مما لست أذكره ... أفتدرى ما الذى كان وما بقية الخبر ؟

لقد كنتُ مولعاً بامتحان قوتى فى الضغط بيدى على أعواد منصـوبةٍ من الحديد ، أو على أيدى الرجال الأقوياء إذا سلمتُ عليهم ؛ فلما صافحتنى لبثت مدة من الزمن ثم شددتُ على يدها قليلاً قليلاً ، فتنبهتْ فىّ هذه العادة ، فسخت الحلمَ وانصرف وهمى إلى أقبح صورةٍ وأشنعها وأبعدها ممـا أنا فيه من الحب ولذات الحب ؛ فاذا بأزائى وجه ؛ وجهُ من ؟ وجهُ مصارع ألمانى كنتَ أعرفه من عشرين سنة وأضغط على يده . . .

* * *

قلت : إنما هذه كبرياؤك أو عفتك تنبهتْ فى تلك الشِّدة من يدك ، ولا زال أمرك عجيباً ؛ فهل معك أنت ملائكة ومع الناس شياطين ؟

قال : والذى هو أعجب أنى رأيت فى أضعاف أحلامى كأن قلبى المسكين يخاصمنى وأخاصمه ؛ وقد خرج من أحناء الضلوع كأنه مخلوق من الظل يُرى ولا يُرى إذ لا شكل له ؛ وسبَّنى وسببتُه ، وقلت له وقال لى ، وتقالظْنا كأننا عدوان ؛ فهو

يرى أنى أنا أمنعه لذته ، وأرى أنه هو يمنعنى ، وأنه أشفى بى على ما أشْفى ؛ وقلت له فيما قلت : لا قرارَ على جنايتك فاذهبْ عنى ولا تتسمَّ باسمى فانه لا فُلانَ لك[1] بعد اليوم ؛ ولولا أنك مخذول فى الحب لعلمتَ أن لمسةَ يد الرجل ليد المرأة الجميلة نوعٌ مخفَّف من التقبيل ، فاذا هى تركته يرتفع فى الدم انتهى يوماً إلى تقبيل فمه لفمها ؛ ولولا أنك مخذول فى الحب لعلمت أن هذا الضم بين اليدين نوع خفف من العناق ، فاذا هى تركته يشتد فى الدم انتهى يوما إلى ضم الصدر للصدر ؛ ولكنك مخذول فى الحب ، ولكنك مخذول .

وقال لى فيما قال : وأنت أيها الخائب ؟ أما علمتَ أن أناملها الرَّخْصةَ هى أناملُها ، لا أعوادُك من الحديد ؟ فكيف شددت عليها ويحك تلك الشَّدة التى أخرجت لك وجهَ المصارع ؟ ولكنك خائب فى الحب ، ولكنك خائب .

قلت : فهذه قضيةٌ بينى وبينك أيها القلبُ العدوّ ؛ لقد تركتنى من الهموم كالشجرة المُنْخَرِبة قد بليَتْ وصارت فيها التخاريب فلا حياتُها بالحياة ولا موتُها بالموت ، وكم علَّقتنى بفاتنة بعد فاتنة لا عنها إقصارٌ ينتهى ولا فيها مطمعٌ يبتدىء ؛ ما أنت فىَّ إلا وحشٌ أكبرُ لذته لطْعُ الدم .

* * *

واستدار الحلم فلم ألبث أن رأيتنى فى محكمة الجنايات ، وكأنى شكوت قلبى إليها فهو جالس فى القفص الحديدىّ بين المجرمين ينتظر ما ينتظرون من الفصل فى أمرهم ؛ وقد ارتفع المستشارون الثلاثة إلى منصة الحكم وجلس النائب العامُّ فى مجلسه يتولى إقامةَ الدعوى وبين يديه أوراقه ينظر فيها ، ورأيت منها غلافا كتب على ظاهره : قضية القلب المسكين .

وتكلم رئيس المحكمة أولَ من تكلم فقال : ليس فى قضية القلب محامٍ ، فابْغُوه من يدافع عنه ؛ ثم التفت إليه وقال : من عسى تختار للدفاع عنك ؟

قال القلب : أوَهنا موضع للاختيار يا حضرة الرئيس ؟ إنه ليس تحت هذه — وأوماً إلى السماء — ولا فوق هذه — وأوماً إلى الأرض — إلا . .

فبَدَر النائب العام وقال : إلا الحبيبة . أكذلك ؟ غير أنها أستاذة فى الرقص لا فى القانون

— القلب : ولكننى لا أختار غيرها محكوما لى أو محكوماً على . أما أريد أن أنظر فيها وانظروا أنتم فى القضية . . . .

— الرئيس : فليكن ؛ فهذه جريمة عواطف إذَنْ لها أيها الآذِن

فنادى المحْضِر[1] : الأستاذة . الأستاذة

وجاءت مُبادِرة ، ودخلت تمشى مشيتَها وقد افترَّ ثغرها عن النور الذى يسطع فى النفس ؛ وأومَضَتْ بوجهها يميناً وشمالاً فصرفَ الناسُ جميعاً أبصارهم إليها وقد نظروا إلى فتنة من الفتن ؛ وثارت فى كل قلب نزعة ، وغلبت الحقيقةُ البشرية فانتقضت طباع الموجودين فى قاعة الجلسة ، وأبطل قانون جمالها قانونَ المحكمة ، فوقعت الضجة وعلت الأصواتُ واختلطت ؛ وتردَّدت بين جدران المكان صَدى فى صَدًى كأن الجدران تتكلم مع المتكلمين

أصوات أصوات : سبحان الله ! سبحان الله ! تبارك الله ، تبارك الله ، آه آه آه ! آه آه ؛ وسمع صوت يقول : اتَّهموني أنا أيضاً ... فتَنَفَّرَت الكلمات وأنا وأنا وأنا . واختفت المحكمة وانبعث المسرح بدخول فاتنته الراقصة ؛ وكان المستشارون والنائب العام فى أعين الناس كأنهم صور معلقة على الحائط لا يخشاها أحدٌ أن تنظر إلى ما يصنع

فصاح الرئيس : هنا المحكمة ! هنا المحكمة ! سبحان الله ... المحكمة المحكمة

— النائب العام : هذا بَدْءٌ لا ترضاه النيابة ولا تقبل أن تنسحب عليه . نعم إن هذا الوجه الجميل أبرعُ محام فى هذه القضية ، ونعم إن جسمها . . . آه ماذا ؟ إنكم تأتون بالشهوة الغالبة القاهرة لتدافع عن المشتهى ... عن المتَّهم . هذا وضع كوضع العذر إلى جانب الذنب . وكأنكم يا حضرات المستشارين . .

فبدَرت المحامية تقول فى نغمة دلال وفتور : وكأنكم يا حضرات المستشارين قد نسيتم أن النائب العام له قلب أيضاً ...

واشتدَّ ذلك على النائب وتبين الغضب فى وجهه ، فقال : يا حضرة الرئيس

(١) ذكر اسمه كما تقول مثلا لا محمد لك

(١) هو الموظف الذى يكون فى الجلسة للنداء على الخصوم

— الرئيس مبتسما : واحدة بواحدة ، وأرجو ألا تكون لها ثانية ، ومعنى هذا كما هو ظاهر ألا تكون لها ثالثة . . . . (ضحك)

* * *

قال صاحب القلب المسكين : وكنت بلا قلب ... فلم التفت للجمال ، بل راعنى ذكاءُ المحامية ونفاذُها وحسن اهتدائها إلى الحجة فى أول ضرباتها ، وتعجبت من ذلك أشد التعجب ، وأيقنت أن النائب العام سيقع فى لسانها لا كما يقع مثله فى لسان المحامى القدير ، ولكن كما يقع زوجٌ فى لسان زوجة معشوقة متدللة تجادله بحجج كثيرة بعضها الكلام ... وقلت فى نفسى : يا رحمة الله لا تجعلى من النساء الجميلات الفاتنات محاميات فى هذه المحاكم ، فلو ألبسوهن لِحًى مستعارة لكان الصوت الرخيم وحده من تلك الأفواه الجميلة العذبة نداء قانونياً للقبلات . . .

ونهضت المحامية العجيبة فسلطت عينيها الساحرتين على النائب ، ثم قالت تخاطب المحكمة : قبل النظر فى هذه القضية قضية الحب والجمال ، قضية قلبى المسكين ... أريد أن أتعرف الرأى القانونى فى اعتبار الجريمة . أهى شخصية ، فتُقصر على صاحبها ؟ أو خاصة فتضر غير جانبها ؟ أو عامة فيتناولها العموم المحدود لمن تجمعهم جامعة الحب ؟ أو هى أعم ، فيتناولها العموم المطلق للهيئة الاجتماعية ؟ ما هى جريمة قلبى ..؟

— الرئيس : ما رأى النيابة ؟

النائب ضاحكا : (غزالتها رايقة) كما يقول الراقصات والممثلات . . . . أرى أنها جريمة آتية من ضرب الخاص فى العام .. (ضحك)

المحامية : جواب كجواب القائل : حب أبى بكر . كان ذلك الرجل يحب زوجته الجميلة ويخافها ، وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتُغلظ له الكلام وهو يفرق منها ولا يخالفها . فرآها يوما وقد طابت نفسها فأراد أن ينتهز الفرصة ويشكو قسوتها ؛ فقال : يافلانة قد والله أحرق قلبى .. ولم تدعه يتم الكلمة ، فحدقت نظرها اليه وتطلعت وجهها وقال : أحرق قلبك ماذا ؟ فخاف ولم يقدر أن يقول لها سوء أخلاقك . فقال : حب أبى بكر الصديق رضى الله عنه .. (ضحك) ورنت ضحكة المحامية فاضطربت لها القلوب ، ووقعت فى كل دم ، وفى دم النائب أيضاً ؛ فانخزل ولم يزد على أن يقول : أحتجُّ من كل قلبى . .

الرئيس : لندخل فى الموضوع ، ولتكن المرافعة مطلقة فان الحدود فى جرائم القلب تُسدل وتُرفع كهذه الستائر فى مسرح التمثيل . وعشرون ستارة قد تكون كلها لرواية واحدة

* * *

— النائب العام : يا حضرات المستشارين ، لا يطول اتهامى فان هذا القلب هو نفسه تهمة متكلمة

المحامية : ولكنه قلب

النائب : وأنا يا سيدتى لم أحرف الكلمة ولم أقل إنه كلب . (ضحك) وتفرج وجه المحامية وخجلت[1]

— الرئيس : الموضوع الموضوع

النائب : يا حضرات المستشارين . إن ألم هذه الجريمة إما أن يكون فى شخص الجانى أو ماله ، أو صفته كأن يكون زوجا مثلاً ، أو صيته الأدبى . فأما الشخص فهذا ظاهر ، وأما المال فنعم إن القلب المسكين قرر لنفسه ولصاحبه ألا يبتاع أبداً تذكرة دخول إلى جهنم ... (ضحك)

— المحامية : أستميح النائب عذراً إذا أنا . . . إذاً أنا فهمت من هذا التعبير أن حضرته يعرف على الأقل أين تباع هذه « التذاكر » ... (ضحك) وتفرج وجه النائب العام وخجل .

— الرئيس : كنت رجوت ألا تكون للأولى ثانية ، وقلت : إن معنى هذا كما هو ظاهر ألا يكون لها ثالثة ؛ فهل أنا محتاج إلى القول بأن المعنى المنطقىَّ ألا يكون للثالثة رابعة ... ؟

— النائب : يا حضرات المستشارين . وأما الصفة ، فهذا القلب المسكين قلب رجل متزوج ؛ ولا تغرنَّكم صوفية هذا القلب ، ولا يخدعنكم تألهه وزعمُه السموَّ . إنه على كل حال يعشق راقصة ، وهذا اعتداء فى ضمنه اعتداء ؛ على الزواج وعلى الشرف . وهبوه متصوفاً متألها ولم يتصل بالراقصة ، فهو على كل حال قد أخذها واتخذها ولكن بأسلوبه الخاص . . . وبهذا اقترف الجريمة . آه . ان هذه القضية ناقصة ؛ وذلك نقص فيها

(١) إذا كان كلباً فهو يتبع كلبة ... وهذه هى غمزة النائب للمحامية ، ولا ينسى القراء أن المحكمة فى الرؤيا ؛ وفى الرؤيا علمنا أن هذا النائب كان كثر شبان العصر فى حمأة المدنية الفاسدة ، لا يتزوجون لأن المدنية جعلتهم بين الفتيان « أنصاف متزوجين » على وزن « أنصاف عذارى » بين الفتيات ... وفى الرؤيا علمنا أنه يخادن راقصة ويقال ممثلة — بينها وبين صاحبة القلب المسكين منافسة ...

أخشى أن يكون نقصا فى الحكم أيضاً ، فأتموه أنتم . يا حضرات المستشارين إن النقص فيها أنها لا شهود فيها ؛ ولكن هذا عمل إلهى لايظهر إلا يومَ تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون

— المحامية : هـذا تعبير أكبر من قدرة قائله ومن منزلته ووظيفته ، هذا تعبير جسور . يا حضرة النائب ؛ من الذى لا يحمل شهوداً فى لسانه ويديه ورجليه ؛ بل ألف شاهد على ليلة واحدة . . . يجب أن يكون مفهوماً بيننا يا حضرة النائب أن النون والباء فى لفظة (نائب) غير النون والباء فى لفظة (نبى)

— النائب : يا حضرات المستشارين . لا أرى مما يُحرجنى فى الاتهام أن أصرح لكم أن مما حيّرنى فى هذه الجريمة أنْ ليس فيها من أوصاف الجرائم إلا ثلم الكرامة . فلا قذف ولا سب ولا هتك عرض ولا فجور ، ولا أصغر من ذلك ، ولا كأس خمر للراقصة . . .

— المحامية : لا أرى أمام حضرة النائب كأس ماء ، وسيجف حلقُه فى هذه القضية فلعل المحكمة تأمر لى بكأس ... (ضحك)

— النائب : يا حضرات المستشارين . يمشق راقصة ؛ اسم فاعل من رقص يرقص ؛ امرأة لا تلبس ثياباً بل عُرياً فى شكل ثياب . . . امرأة لا كالنساء ؛ كذبها هو صدق من شفتيها . لماذا ؟ لأنهما حراوان رقيقتان عذبتان محبوبتان مطلوبتان . . .

المحامية : تضحك . . .

— النائب بعد أن تتمتع : امرأة لا كالنساء ، جعلتها الحرفة امرأة فى العمل ، ورجلاً فى الكسب . . .

— المحامية : ولكنك لا تدرى تحت أى رجل سقطت[1] المسكينة . وقد يكون فى الرذائل رذائل كبعض أصحاب الألقاب ؛ ذات عظمة . . .

— النائب : يحب راقصة ، أى يضعها فى عقله الباطن ويشتهيها . نعم يشتهيها . فى عقله الباطن ، وبتعبير اللغة ، من واعيته — تخرج الجريمة أو على الأقل فكرة الجريمة

والصيت الأدبى يا حضرات المستشارين ؟ هل من كرامة لمن يعشق راقصة ؟ لا بل هل من كرامة فى الحب ؟ ألم يقولوا إن كرامة الرجل العاشق تكون تحت قدمى المرأة المعشوقة كالمسحة الخشنة تمسح فيها نعالها

الحب ؟ ما هو الحب ؟ إنه ليس فكرة ، بل هو شيطان يتلبس لجسم العاشق ليعمل أعماله بأداة حية ، وهذا التركيب الحيوانى للانسان هو الذى يهيء من الحب مداخل ومخارج للشياطين فى جسمه . وهل رضى صاحب القلب المسكين بجناية قلبه عليه ، وعظيم ما انتهك من أخلاقه السامية ، هل رضى بعشقه راقصة ؟ إنه لم يرض الرضى الصحيح ، أو رضى بقدر ما . فعلى كليهما يقوم فى نفسه مانع والمانع من الرضى هو الموجب للعقوبة

— المحامية : ولكن قدراً من الرضى ينزل بالجناية فيردها الى جنحة كما فى القانون الانجليزى . وقد قرر الشراح أنه مادام الرضى غير مستلب بكله ، فالجريمة غير واقعة بكلها

— النائب : جنحة كل قلب هى جناية من هـذا القلب بخصوصه ، على طريقة : «حسنات الأبرار سيئات المقربين» . والعبرة هنا بالواقع لا بالصفة القانونية . وقد قرر الشراح أن الواقع قد يكون أحياناً سبباً فى تشديد العقوبة ، فلا بد من تشديد العقوبة فى هـذه القضية . لا أطلب الحكم بالمادة ٢٣٠ عقوبات بل بالمواد من ٢٣٠ إلى ٢٤١ ضربة واحدة ...

— المحامية : قد نسيت أن هـذا قلب وعقوبته عقوبة لصاحبه البرىء

— النائب : إذن أطلب عقابه بحرمانه الجمال ؛ وهذا أشق عليه من العقاب باثنتى عشرة مادة وبعشرين وثلاثين

الرئيس : وما هى الطريقة لتنفيذ الحكم بهذا الحرمان ؟

النائب : تأمر المحكمة بالمراقص كلها فتغلق ، وبالمسارح كلها فتقفل ، وبالسما فتبطل إلا ما لا جمال فيه منها ولا غزل ولا حب ، ويحرم السفور على النساء إلا العجائز والدميات ، ويمنع نشر صور الجمال فى الصحف والكتب ، و . . .

المحامية : قل فى كلمة واحدة : يجب إصلاح العالم كله لأصلاح القلب الانسانى

* * *

وجلس النائب ، فالتفت الرئيس إلى المحامية وقال لها :

وأما هو ؟

(لها بقية — طنطا) محمد عبد الله عنان

(١) هذه الكلمة لفكتور هيجو

الـــــريف

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المـازنى

أرانى كلمـا فسد الجو ، وكثر تقلبه ، وعز الاطمئنان اليه ، أميل إلى الخروج إلى الصحراء أو الريف ، ولا أطيق القعود فى البيت ؛ ولست أعرف لهذا المزاج — الشاذ فيما أعتقد — تعليلاً يسكن اليه العقل وتستريح اليـه النفس . فأما أنه مزاج شاذ فأعرفه من صياح أهلى حين يرونى أرتدى ثيابى والمطر منهمر والريح تعصف ، وأهم بالخروج ؛ ولست أراهم يملون أن يقولوا لى : « يا شيخ ، ما هذا الجنون ؟ تخرج فى هذا المطر !! أما إن هذه لحكاية ! اقعد ... اقعد ... نضرم لك الفحم ، ونشوى « أبا فروة » أو نمص القصب ونحمـد الله على وقاية الجدران » فأهز رأسى وأقول : « ما أحلى هذا ! ولـكنى لا أطيق المكث هنا على حين له بينكم ، ولست أحب أن أفارقكم لحظة ، وإنه ليعز على ألا تأخـذكم عينى فى حينما أكون ، ولـكن نفسى أمارة بالسوء ، أو بالحماقة ، أو بمـا شئتم غير ذلك . فاذا كنتم تحبوننى فتعالوا معى ... فان الفضاء رحيب ، والصحراء واسعة ، وهاتوا القصب معكم ، وأبا فروة أيضاً ... نضع هذا كله فى السيارة ونمضى بها ... قوموا »

ولـكنهم لا يفعلون ، فأمضى وحدى وأعود بزكام أو برد ، ولـكنى أعود مستريح النفس هادئ الأعصاب !

وقد كنت أقول لصـديق لى منذ بضعة أيام ، وهو من أصحاب العقول المثقفة ، والنظر البعيـد ، والغوص الشديد : « يا أخى ، لمـاذا لا يحب المصريون الريف ؟ »

قال : « وكيف لا يحبونه وهم لا يبرحونه ؟ »

قلت : « إنما أعنى أهل المدن — القاهرة مثلاً — قلمـا يخطر لهم أن يقضوا أيام البطالة والفراغ من العمل فى رحلة إلى الريف »

قال : « وأين تريد أن يذهبوا ، وليس فى الريف لغير أهله مذهب أو مقام ؟ »

قلت : « هذا هو سؤالى ... لو كان الناس عنـدنا يحبون الريف ويطيب لهم أن يقضوا فيه كل ما يسمهم أن يختلسوه من الوقت ، لتغير حال الريف ، وتكيف على مقتضى هذه الرغبـة ، وصار لغير أهله فيه مذهب ومقام »

قال : « ربمـا » وانقطع كلامنا فى ذلك

ولـكنى لم أكف عن التفكير فيـه ، وقد أدرت عينى فى شعوب البحر الأبيض فاذا أكثرها كأهل مصر ، ليس لهم « غرام » أو « عشق » للريف أو ما يسمى « الطبيعة » ، فالروم والطليان والفرنسيون والأسبان ، كلهم على شاكلتنا : الحضرى منهم يبقى فى المدينـة ولا ينشد الريف أو يحن اليه ؛ والريفى فى قريته ، يندر أن تنزع نفسه إلى تركها أو التطواف بعيداً منها . ولا نكران أن هجرة أبناء هذه البلاد إلى الأقطار الأخرى غير قليـلة ، وفى مصر وحدها منهم عشرات الألوف ، أو مئاتها ، ولـكن الهجرة تجىء عن اضطرار لا عن رغبة ، والباعث عليها الحاجة ، فلا دخل لهذا فيما أقول عنهم من ضعف ولوعهم « بالطبيعة »

وأكثر الأجانب هنا يتخذون مساكنهم فى قلب المدينـة ولا يبعدون بيوتهم عن أماكن عملهم بعـداً يكلفهم مشقة أو يجشمهم عناء ونفقة ، ما خلا الانجليز ، فان الرجل منهم يكون عمله فى شبرا ، فيتخذ بيته فى أطراف مصر الجديدة أو فى الزمالك على النيل ، أو فى الجيزة على طريق الهرم ، ولا يبالى ما يضيع من الوقت فى الذهاب والاياب ، ولا يحفل ما يكلفه هـذا البعد من النفقة . وقلما يقضى يوم بطالة فى بيته إلا إذا كان مريضاً . وليس بالنادر أن ترى الواحد منهم يحمل فى سيارته خيمة وطعاماً وشراباً يكفيان أياماً ، وفراشاً أيضاً للنوم والجلوس ، وأدوات للعب ، ويذهب بذلك كله إلى السويس مثـلاً ؛ ولو شاء لأعفى نفسه من هذا العناء كله ، فان يمـدم فندقا يبيت فيه ، ولـكنه يضرب خيمته على ساحل البحر أو فى الصحراء ويقضى أياما ناعما بالعزلة والوحدة وبما حوله من وجوه الأرض أو الماء ، ويروح يمشى بضعة فراسخ كل يوم ... وقد يكون وحده ، فلا يشعر بوحدة ولا تخطئه سكينة النفس ، وقد يكون معه غيره ، فلا تراه — فيما يبدو لك — شاعرا بأنس يفتقده فى وحدته ، فكأن أنسه كله بالحمل لا بالرفقة .. ومن المتع التى يحرص عليها أن يكون له بيت أو كوخ — سيان عنده — فى مكان ربفى بعيد يذهب اليـه كلما وسعه أن يخلو من مشاغل العمل . فهو فى هذا نسيج وحـده . ولا يمنعه المطر أو الأعصار أن يخرج فى ثياب السهرة ليتعشى ويرقص ويحيى الليل على أسعد حال ، ولا

بقمده البرد فى بيته كما يقمدنا — حتى فى بلاده التى لا أعرف أسخف منها جواً ، ولا أبعد عن الاعتدال ، فهو هناك كعهدنا به هنا

وأهل الشام على خلاف أهل مصر ، فانهم كثيرو الخروج الى الرياض والبساتين ؛ حتى «فهواتهم» أو «مقاهيهم» . كما يريدوننا أن نسميها — قلما تكون إلا فى بستان أو كما يقول ابن الرومى : «فى» ميادين يخترفن بساتيـ ـن تمس الرؤوس بالأهداب[1]

ولا أعرف كما قلت تعليلاً لهذا الاختلاف فى الطباع ؛ وأحسب أن اعتـدال جو بلادنا على العموم يحمل على الرضى بالوجود ولا يغرى بغشيان غيره . ولماذا يشتاق ساكن المدينة الى الريف وليس فى المدينة ما يزهده فيها ويدفعه الى الخروج منها والتماس ما هو أخف محملاً ، وأكفل براحة النفس وسكينة الأعصاب ؟ ومما يساعد على القناعة ويبعث على القعود أن التنوع مفقود ؛ فالذى يترك القاهرة لا يتوقع أن يستفيد متعة يخطئها فيها ؛ والمناظر فى الريف واحدة أو هى متشابهة ، فلا جبال هناك ولا غابات ولا أحراج ، ولا غير ذلك مما يحرك الخيـال فيحرك النفس ، ولا اختلاف هناك يجعل للنقلة لذة ترجى . والريف من مصر قريب ، فهو معروف غير مجهول . والصحراء حولها من بعض جهاتها فلا موجب للتخيل ، ولـكن الانجليزى شأنه غير شأننا ، فأن جو بلاده دائم التقلب ، وهو مع تقلبه السريع سخيف غير مأمون ؛ وقد يكون هذا مما يدفع الانجليزى الى اشتياق الريف ويغريه بتصور سحره ويبعثه على التماسه ونشـدانه حتى ولو تكررت خيبة أمله فيه

وأم البحر الأبيض شبيهة بنا من حيث المزاج ، وجوها أقرب الى الاعتدال من جو الشمال ؛ ومن هنا فيما أظن مشاكلتها لنا فى هذه الطبيعة ، ولست أرى وجوه الاختلاف تؤثر فى هذا ولا تكران أننا تغيرنا . فكثير بيننا الذين يطلبون الريف أو الصحراء ويؤثرونهما على المدن ، ولـكننا نفعل ذلك على سبيل التقليد ومن قبيل المحاكاة وبفضل التثقيف الحديث والاتصال الوثيق بالغرب لا بدافع من الفطرة وحافز من الطبيعة . ومثلنا فى هذا أم البحر الأبيض فقد ذهبت تقلد أمم الشمال كالانجليز والاسكندناويين والألمـان ، وراحت تتكلف حب الطبيعة حتى لصارت تبدو كأن هذا فيها طباع ، وما هو بذاك

ابراهيم عبد القادر المازنى

(١) البيت فى الأصل « من ميادين الخ »

الخليفة العزيز بالله

وزوجه النصرانية وأصهاره البطاركة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

ليس غريباً أن نقرأ فى التاريخ الاسـلامى أن خليفة من الخلفاء قد ولد من أم نصرانيـة أو أنه قد تزوج من نصرانية وله بين الأمراء النصارى أصهار ولأولاده منهم أقارب ؛ ولـكن ربما يبدو غريباً أن يقترن خليفة مسلم بنصرانية تنتمى إلى أسرة من الأحبار ، وأن يكون له بين أحبار الـكنيسة أصهار ، ولولده منهم أقارب وخؤولة : تلك هى حالة العزيز بالله ثانى الخلفاء الفاطميين بمصر ، ولد المعز لدين الله ، ووالد الحاكم بأمر الله

كانت الخلافة الفاطمية منـذ قيامها بمصر تتشبع بصبغتها المذهبية العميقة ؛ بيد أنها رأت أن تتبع نحو الذميين من النصارى واليهود سياسة التسامح الحر ؛ وظهر أثر هذا التسامح جلياً فى علائق الذميين بالدولة ، وفى ارتفاعهم إلى أرقى مناصبها ؛ بل نرى فى خـلافة المعز لدين الله وولده العزيز ثبتاً حافلاً من الوزراء والـكتاب النصارى واليهود يحتلون أرفع المناصب فى البـلاط وفى الحـكومة ؛ وكان أول وزراء الدولة الفاطمية وأعظمهم يهودياً اعتنق الاسلام ، وهو الوزير يعقوب بن كلس ؛ وفى عصر العزيز كان مدبر الدولة وكبير الوزراء نصرانى هو عيسى بن نسطورس ؛ وكان متولى أعمال الشام يهودياً يدعى منشا ؛ وفى عهـد المعز والعزيز أنشئت كنائس وأديار كثيرة ؛ وبلغ نفوذ النصارى واليهود ذروته فى عصر العزيز حيث استولى الوزراء والـكتاب الذميون على معظم أعمال الدولة ، واستأثروا بمعظم السلطات والنفوذ ، وقد كان لهذه السياسـة المتطرفة فى التسامح والعطف أثر سيء فى المجتمع المصرى ؛ وتنقـل الرواية إلينا فى ذلك قصة خلاصتها أن العزيز بالله رأى ذات يوم فى طريق الركب الخلافى امرأة تمد بيدها رقعة كأنها ظلامة . فتناولها ، فاذا بالمرأة هيكل من الجريد قد ألبس إزارا ، وإذا فى الرقعـة ما يأتى : « بالذى أعز اليهود بمنشا ، والنصـارى بعيسى

ابن نسطورس ، وأذل المسلمين بك إلا ما كشفت ظلامتى ... »
فأدرك العزيز ما انتهت إليه نفسية الشعب من تحكم الأقلية الذمية في مناصب الدولة ومرافق الأمة ؛ وسواء صحت هذه الرواية أم كانت فقط أسطورة ذات مغزى ، فان العزيز لم يلبث أن أدرك خطر هذه السياسة على سلطان الخلافة وهيبة إمامتها المذهبية ، فانقلب إلى مطاردة الذميين ، وقبض على الوزراء والكتاب من النصارى واليهود ؛ ولكنه عاد فأفرج عنهم بعد أن اتخذ بعض الضمانات التي تكفل الحد من طغيانهم وإسرافهم في سياسة الاصطفاء

وتجمع الروايات المعاصرة على أن جنوح العزيز إلى هذا الاسراف في التسامح نحو الذميين يرجع من وجوه كثيرة إلى نفوذ زوجه أو سريته النصرانية ، وابنته منها الأميرة ست الملك ؛ وكانت فتاة عاقلة حازمة يحبها والدها العزيز ويستمع إلى نصحها في كثير من الأمور ؛ وأخيراً إلى نفوذ صهريه أخوى زوجه ، وهما حبران كبيران تبوآ في عصر العزيز أرفع المناصب الكنسية

* * *

وهذه القصة : أعني قصة زواج العزيز من سيدة نصرانية ، قصة يمازجها شيء من الغموض والاضطراب ، وتنفرد بتفاصيلها الرواية النصرانية ، ولا تكاد تشير اليها الرواية الاسلامية ؛ وتقول لنا الرواية إن هذه السيدة زوج العزيز أو سريته ، كانت جارية رومية نصرانية من طائفة الملكية ، وكان لها أيام العزيز نفوذ كبير في الدولة ؛ وكان لها أخوان هما ارسانيوس أو (أرسانى) وأريسطيس ، رفعهما العزيز بتدخله ونفوذه إلى ذرى المناصب الكنسية ، فعين أريسطيس بطريركا للملكية ببيت المقدس (سنة ٣٧٥ هـ) وعين أرسانيوس في نفس العام مطراناً للقاهرة ، ثم عين بعد ذلك بطريركا للملكية بالاسكندرية (سنة ٣٩٠ هـ)[1] وكان لهذين الحبرين بلاريب نفوذهما في بلاط يرتبط معها بأواصر المصاهرة ، وفيه أختهما « زوج الخليفة » وابنته منها الأميرة العاقلة المحبوبة ست الملك ؛ وكانت عند وفاة والدها العزيز في نحو السادسة والعشرين من عمرها ؛ وقد حملت رسالته في التسامح بعد ذلك في فرص كثيرة ، ولا سيما بعد مصرع أخيها الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ

وتذهب الرواية الكنسية إلى أبعد من ذلك ، فتقول لنا إن هذه السيدة النصرانية هي أم الخليفة الحاكم بأمر الله ولد العزيز ، وتنفرد بهذا القول الرواية القبطية المعاصرة ، وتقول لنا بالنص ما يأتي : «وكان الملك العزيز بالله بن المعز لدين الله قد رزق ولداً من سرية له رومية وجلس في الملك من بعده ، ولقب بالحاكم بأمر الله ؛ وكان للسرية المذكورة التي هي أم الحاكم أخ اسمه أرسانى فجعلته بعنايتها بطرك الملكية...»[1] ولكن الرواية النصرانية تنقل الينا في غير موطن أن هذه السيدة هي أم ست الملك ابنة العزيز دون الاشارة إلى أنها أم الحاكم ؛ فيقول لنا يحيى الأنطاكي مثلاً ، وهو مؤرخ معاصر تقريباً : « وفي شهر رمضان سنة خمس وسبعين وثلثمائة صير اريستس خال السيدة ابنة العزيز بالله بطريركا على بيت المقدس ، أقام عشرين سنة ومات بالقسطنطينية ، وصير أخوه أرسانيوس أيضاً مطرانا على القاهرة ومصر »[2] . ويقول لنا المكين بن العميد في صراحة ووضوح : « إن العزيز بالله صاحب مصر تزوج امرأة نصرانية ملكية ورزق منها بنتا ؛ وكان للمرأة أخوان أحدهما أسمه أرميس (أريستس) صيره بطركا على بيت المقدس ، والآخر أرسانيس صيره بطركا للملكية على القاهرة ومصر ؛ وكان لها من العزيز جانب لأنهما أخولة ابنته»[3] ، هذا بينما تلزم الرواية الاسلامية الصمت إزاء هذه المسألة كلها ، ولا تشير الى أم الحاكم إلا بأنها « الست العزيزية »[4] . بل نرى المقريزي يشير الى ارسانيوس وولايته لمنصب البطريركية دون الاشارة الى أنه صهر العزيز أو خال ست الملك[5] . ومما يبعث الى التأمل أنه إذا كانت هذه السيدة النصرانية هي أم ست الملك ، فان العزيز يكون قد تزوجها أو تسراها وهو ولي عهد بالمغرب قبل سنة ٣٥٩ هـ — وهو تاريخ مولد ابنته — ففي أي ظروف حصل

(١) راجع المؤلف الكنسي (القبطي) المسمى « بسير البيعة المقدسة » والملحق بكتاب ساويرس بن المقفع (سير الآباء البطاركة) وقد اقتنت دار الكتب أخيراً منه نسخة فتوغرافية كاملة (رقم ٦٤٣٤ ح) وتاريخ الأنطاكي ص ١٦٤ و١٦٥ و١٨٥ ؛ والمكين بن العميد ص ٢٤٧

(١) المخطوط الكنسي المشار اليه
(٢) الانطاكي ص ١٦٤
(٣) ابن العميد ص ٢٤٧
(٤) راجع خطط المقريزي (الطبعة الأهلية) ج ٢ ص ٢٠٧
(٥) الخطط ج ٤ ص ٣٩٨

هذا الزواج أو التسرى ؟ وفى أى ظروف وقعت هذه الجارية الرومية المصرية فى يد البلاط الفاطمى بالمغرب ؟ هذا ما لاتوضحه لنا الرواية ، ومن جهة أخرى فان الرواية الكنسية (القبطية) المعاصرة هى التى تنفرد بالقول بأن هذه السيدة هى أيضا أم الحاكم ، هـذا بينما تكرر الرواية النصرانية المعاصرة والمتأخرة أنها هى أم ست الملك فقط ؛ ولو كانت نفس الأم هى أم الحاكم ، وهو الخليفة وشخصيته أهم من شخصية أخته ، لما ترددت الرواية فى ذكر هذه الحقيقة . وقد ولد الحاكم بعد مولد أخته بستة عشر عاما (سنة ٣٧٥ هـ) ولم يرزق العزيز خلال هذه الفـترة إلا بابن يدعى محمداً وقد توفى طفلاً[1] ؛ وفى ذلك أيضا ما يبعث الى التأمل

أفلا نستطيع على ضوء هذه الملاحظات أن نرتاب فى هذا القول الذى تنفرد به الرواية الكنسية ، وأن نعتقد أن هذه السيدة النصرانية كانت أما لست الملك فقط ، وان « السيدة العزيزة » التى تشير اليها الرواية الأسلامية بأنها أم الحاكم هى سيدة أخرى ، وأنها هى الزوجة الشرعية ؟ هذا ماتميل الى الأخذ به ، خصوصا إذا ذكرنا موقف ست الملك من النصارى ، وهو موقف عطف دائما وموقف أخيها الحاكم وهو موقف اضطهاد وقسوة لا مثيل لها ، وصمت الرواية الاسلامية فى هذا الموطن لا يمكن أن يحمل على أنه صمت تحفظ وإغضاء ، لأن الرواية الاسلامية تقدم الينا ثبتا حافلا من الخلفاء الذين ولدوا من أمهات من النصارى ، وفى مقدمتهم عبد الرحمن الناصر أعظم خلفاء الأندلس

* * *

وتقدم إلينا الروايه النصرانية بعض تفاصيل عن حياة هذين الحبرين الكبيرين أريسطيس وإرسانيوس صهرى الخليفة العزيز بالله ؛ فتقول لنا إن الطائفة الملكية اشتد ساعدها فى عصر العزيز من جراء هـذه المصاهرة الملوكية ، ووضعت يدها على بعض كنائس اليعاقبة ؛ وإن البلاط الفاطمى فى أوائل عهد الحاكم بأمر الله ، وفى عهد مدبر دولته برجوان الصقلبى ، انتدب أريسطيس بطريرك بيت المقدس ليكون سفير الحاكم إلى قيصر قسطنطينية باسيل الثانى فى سنة ٣٩٠ هـ (سنة ١٠٠٠ م) ، ولكى يعمل على عقد الهدنة والصداقة بين مصر والدولة البيزنطية بعد أن استطالت الحرب بينهما فى الشأم منذ عهد المعز لدين الله ؛ فسار أريسطيس إلى قسطنطينية مع رسل القيصر ، وقام بالمهمة ، وعقدت بين مصر والدولة البيزنطية معاهدة سلم وصداقة لمدة عشر سنين ، وأقام أريسطيس فى عاصمة بيزنطية أربعة أعوام حتى توفى فى سنة ٣٩٤ هـ [1]

أما ارسانيوس فأنه لبث بطريركا للملكية زهاء عشر سنين ؛ وكان فى أواخر أيامه قد اعتزل الحياة ، فى دير القصير الذى شيد فى بعض ربى المقطم ، وعكف على النسك والتعبد ؛ وفى سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) حينما اشتدت موجة الاضطهاد الدينى التى أثارها الحاكم بقوانينه الصارمة ضـد النصارى واليهود ، أمر الحاكم بهدم هذا الدير الشهير ضمن ما أمر بهـدمه من البيع والأديار الأخرى ، فهاجته الغوغاء ، وقوضت أبنيته ، ونهبت مقتنياته وآنيته ، وأخرج منه أرسانيوس مع باقى الرهبان الساكنين فيه ؛ وقضى أرسانيوس أشهراً أخرى فى بعض البيع حزيناً على ما أصاب قومه من الخطوب ؛ وفى ذات ليلة من شهر ذى القعدة سـنة ٤٠٠ هـ نفذ بعضهم إلى مكانه المتواضع وقتلوه سراً ، واحتوت ابنة أخته ست الملك على ما كان له من المـال والثياب والذخائر المقدسة[2] . ولم تحدثنا الرواية عمن قتله أو من أمر بقتله ، بيد أن فى هذا الحادث نفسه ما يبعث إلى الريب فى قراءة الحاكم بأمر الله بالحبر المقتول

تلك هى قصة زوج العزيز أو سريته النصرانية وقصة أخويها الحبرين البطركين ؛ وهى مصاهرة طريفة فريدة فى نوعها ، ولا تذكر لنا الرواية مثلاً آخر يرتبط فيه خليفة مسلم مع بعض خلفاء النصرانية برباط المصاهرة ، وإذا استبعدنا من الرواية ما يتعلق بالحاكم ونسبته لهذه الأم النصرانية ، فانه ليس ثمة ما يحمل على الشك فى جوهرها وتفاصيلها . بيد أن الرواية لا تحدثنا عن اسم هذه السيدة الرومية النصرانية التى سـطعت فى قصر من أعظم القصور الاسلامية ، وفى ظل خلافة تطبعها الصبغة المذهبية بأعمق طابع ، ولا تحدثنا عن مصيرها

محمد عبد الله عنان

(١) النويرى — نهاية الأرب — النسخة الفوتوغرافية بدار الكتب ج ٢٦ ص ٦١

(١) الانطاكى ص ١٨٣ و ١٨٤ وابن الأثير ج ٩ ص ٤٢ ، والمقريزى ج ٤ ص ٦٨ و ٦٩

(٢) الانطاكى ص ١٩٧ و ٢٣٧

صفحة من طفولتي

ترتبط بصفحة من حاضري

للأستاذ خليل هنداوي

« كان لي أخت فقدتها صغيرة أيام نكبة الحرب العظمى بالسكوليرا . وما زال اسمها يطوى أيامي حتى استقر على صغيرة لي حلت مكان الأولى ؛ فكانت الأخت والبنت ؛ وكان لها اسمها ومقامها »

يالشد ابتهاجي حين أراها تخطر أمامي ووجهها يتدفق نوراً بالصفاء ، وشعرها الأشقر يتموج كالشعلة !

تملأ وحدها مكاناً وتملأ أخواها مكاناً ،

وتفعم وحدتي أنساً وقلبي محبة ؛

فلا ألمحها إلا ضاحكة ، ولا أسمعها إلا مهللة ! . . .

كأنها ضحكة انطلقت بها الحياة ،

أو بسمة انجلت عن معنى الرضا .

أناديها باسمها ، فيهزني اسمها لأنه وليد ذكرى أليمة ترتبط بها ذكريات . أراها فأرى فيها صاحبة هذا الاسم أيام كانت تحيا بجانبي وتصل طفولتي بطفولتها ، أيام كانت تتعانق أحلامنا وتتلاقى آمالنا . . .

أرى فيها صاحبة هذا الاسم طفلة كما كانت باللامح التي كانت . ولكن العين التي أرى بها قد اختلفت وزالت عنها معاني الطفولة ! ولكني أراها وألمسها وأعانقها فأرى أن سلسلة هذا الزمان الطويل لم تكن خلال ذلك منقطعة ، لأنها استطاعت أن تثبت لي اتصال الموت بالحياة ، واستطاعت أن تعيد لي الميت باسمه وروحه !

أراها تخطر أمامي واثبة أو متهادية ، ويراها من مي بعينه كما أراها ، ولكن عين الذكرى تمتد إلى أبعد من هذا الحد ، فتراها متصلة بذكريات بعيدة الأمد ، تحملها كما تحمل عيناها نور غدها . تراها تحمل إلى شيئاً من طفولتي المطوية ، أناديها باسمها فأرى « يسرى » الأولى التي كانت تخاف كثيراً من الدخان كأنما صفاء روحها لا يحتمل أن يرى السواد يغشى السماء الزرقاء والتي كانت لا تجد وسيلة إلى إهداء سلامها إلى أبينا الجندي إلا القمر !

كانت في الخامس من ربيعها يوم زحف الهواء الأصفر بجنوده وويلاته ، يغشى المدينة فيأخذ منها جنوداً ، ويدخل البيت فلا يرضى إلا بكبشين أو ثلاثة ! أو بكل ما تنفس بحياة . كنا نسمع بصفته فنخشى ريحه ، ونرتاع من صوته ونحذر أن نلقاه في مكان ؛ ولكنه كان يمشي ولا يرى ، ويدخل ولا يحسه أحد . فأنشب مخالبه في أخي الصغير . فكانت « يسرى » تخشى الدنو منه ، ولكنها كانت تسمع من الجارات يقلن لأمه : « إنه سليم لأن يديه لم يزرقا .. خاق من زرقة اليدين فهي علامة الموت » وما مر على الصغير ساعات معدودة حتى سقطت « يسرى » التي كانت تحذر وتبالغ في الحذر على صغرها ، لأنها تفهم الموت شيئاً مروعا . وكانت أمنا تجاهد فينا لا تخشى أن ينشب المرض مخالبه فيها ، وما غلبته إلا بقوة اعتقادها وإيمانها . فخت على سرير « يسرى » وقد رأت أخاها نجا بمعجزة ... ولكن يسرى تتأمل في يديها فترى أن الزرقة أحاطت بهما فتقول لأمها : « ها إنني أموت ، لأن يدي مزرقتان .. » فتوارى الأم وجهها لتذرف دمعها بعيدة عن عينيها ! « إنني لن أشفى يا أماه لأنني لا أرى في جسدي إلا الزرقة . » هاتي لي ثياب العيد — وكان العيد بعد أسبوع — من خزانتي ، أريد أن ألبسها كلها . هاتي ردائي الأحمر الذي أرسله إلى والدي من القدس . » لبست ثيابها واغتبطت برغم الألم ، ثم أخذها ذهول عميق عقبه سكرة الموت ، ولبثت حتى حان وقت وقوعها في الداء ، فأسلمت روحها ولما يتنفس الفجر ! فبكت أمنا بهدوء يشقه بعض شهقات ، تحاول ألا نسمع وكنا نياماً ، وهي تخشى على أخي النكسة ، حتى طلع النهار — وأوصت حفار القبور

تتراءى لي هذه الصفحة الأليمة فأراها واضحة السطور على رغم القدم ، وأذكر أنني نهضت فوجدتها كتلة زرقاء هامدة لا تنبض بالحياة ، فروعني ذلك ولكني لا أذكر كيف بكيت ؟ فشيعنا إلى المقبرة وهي على يدي الحفار لا يمشي خلفها إلا ثلاثة : أمها وجدتها وأنا ، أعدو خلفهما حافي القدمين ، ولكني أرى من وراء ظهر الحفار رأسها الملتف وقدميها الملتفتين . وكيف يمشي

أحد معنا والناس لا هون بموتاهم . فوجدنا على باب المقبرة ولداً لا أهل له يوارونه التراب وكان اللحد ضيقاً ، فطووا قدميه بالعنف حتى يتسع اللحد له ! فشينا حتى أدركنا لحدها وكان واسعاً ، فقالت أمها :

إنه كثير السعة وهي صغيرة .

وسدوها اللحد وهالوا على وجهها التراب . وكنت أظن أن وجهها توارى الى الأبد . فمدنا وأخذ النسوة يعزين والدتي قائلات :

— اشكري الله على نجاة الصبي بهذه الفدية

ولعل هذه التعزية كانت مما تخفف عن الأم لوعتها ولكن مكان الولد لا يسد

« لكلٍّ مكانٌ لا يسد اختلاله »

بلى ظننت أن وجه يسرى قد توارى الى الابد

ولكن هاهي ذي الحياة تتمخض مرة جديدة عن «يسراى»

تعيدها إلى ابنة لا أختاً ؛ تعيدها قطعة من كبدي

لا أحفظ للاولى صورة ، ولا أذكر من ملامحها شيئاً ، ولكن جدتك — يايسراى — تقول لي : إنها عادت بملامحها ونضرة وجهها وكأنها هي . وإنها لا ترى فيك إلا ابنتها . . .

فأهلاً بك أختاً وبنتا !

وأهلاً بك ياشعلة حياتي !

خليل هنداوي

الرسالة

تدخل عامها الخامس في اول يناير ومعها :

الروايــة

وهي مجلة للقصص العالي والسمر الرفيع ؛ تصدرها ادارة الرسالة في ثمانين صفحة

تعتمد في الغالب على نقل ما راع وخلد من بدائع الأدب الغربي في القصص على أوسع معانيه من الأقاصيص والروايات والرحلات والمذكرات والاعترافات والسير . وسيكون دستورها : الجمال في الأسلوب ، والحسن في الاختيار ، والنبل في الغرض ؛ فترضى الذوق كما ترضى الرسالة العقل ، وترفع القصة كما ترفع الرسالة المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل الرسالة أدب العرب

اشتراك الرواية المؤقت

تصدر الرواية مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه . لذلك سيكون بدل اشتراكها ثلاثين قرشاً في مصر والسودان ، وحسين قرشاً في الخارج بدون تخفيض

اشتراك الرسالة المخفض

كل من يسدد اشتراك الرسالة الكامل وقدره ستون قرشاً في مصر ومائة قرش في الخارج قبل انتهاء شهر يناير ترسل إليه الرواية مجانا ، وللمعلمين الالزاميين وطلاب العلم أن يدفعوا أقساطاً متتابعة : أربعين قرشاً للرسالة وحدها ، أو ستين قرشاً للرسالة والرواية وكتاب من مطبوعات (لجنة التأليف والترجمة والنشر) لا يقل ثمنه عن عشرة قروش ولا يزيد على خمسة عشر ، (وأجرة البريد على المشترك) ، وستنشر الرسالة قائمة بالكتب المختارة

(تنبيه) رسم البريد للخارج مضاعف على الرواية لكبر حجمها ، لذلك سيكون اشتراك الاعتياز في شهر يناير للبلاد العربية تسعين قرشاً بدل ثمانين

في الأدب المقارن

الأدب العامي
في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

بداوة الأمة هي عهد طفولتها : فيها يكون أدبها ساذجا على صدق عاطفته ، ضئيل الحظ من الفكر المستقيم على قوة شعوره ؛ ويشبه دخولُ الأمة طور الحضارة والثقافة بلوغَ الناشيء الحلم : إذ تنضج أفكارها وينتبه وعيها بما يحيط بها من مظاهر الكون ويزداد تأملها فيها واتصالها بها ؛ ومن ثم يزداد أثر الفكر السليم والنظر الثاقب في آدابها بجانب الشعور الحار والعاطفة المتدفقة ؛ على أنه لما كانت العاطفة عادة تقتصر على فريق من أبناء الأمة دون فريق ، فأنه يصير للأمة المتحضرة أدبان : أدب راق للخاصة وأدب عامي للدهماء ؛ ولاريب أنه كلما ازداد انتشار التعليم في الأمة كان ذلك كسبا للأدب الراقي ؛ ولم توجد بعد الأمة التي يتوحد فيها الأدبان

وتزداد الهوة بين الأدبين تدريجا بارتقاء الحضارة وازدهار الثقافة وترفُّه المجتمع : فتدخل الأدب الراقي النزعة العلمية ، وترتقي لغته وتتسع جوانبها ، وتتهذب لهجته وترق حاشيته ، ويزداد تراثه من جيل الى جيل لاستعانته بالكتابة ؛ أما الأدب العامي فيتداول بالرواية ، ولذا يظل في تجدد وتحول وزيادة ونقص ؛ تلونه المجتمعات المتعاقبة بألوانها ، وتترك فيه العصور المتوالية مياسمها ، ويظل ساذجا كأدب البداوة الأولى : يهتف بالغرائز والعواطف البسيطة ، ويتحدث بأحلام النفس الانسانية في السعادة المطلقة وميلها الدائب الى الجمال والقوة والحق والفضيلة ، ويظل على ما يشوبه من خرافة وغرارة هو الثقافة الوحيدة التي تتمتع بها الطبقة العاملة

وقد كان للعرب على عهد حضارتهم أدبان كذلك : ساعد على قيام الأدب الراقي اعتداد أشراف العرب بأدبهم القديم ، وتمسكهم بلغتهم ، وانتشار الثقافة والعلوم التي وَرَدَ مناهلها فريق من الأمة دون فريق ؛ وساعد على ظهور الأدب العامي اختلاط العرب بالأمم وفساد لغة الكلام . وصار للانجليز كذلك أدبان منذ تحضروا وتثقفوا وامتزجت اللغة الانجلوسكسونية باللاتينية ، واستخدمت في العلوم والآداب ، وتوطدت قواعدها واتسعت جوانبها وأصبحت لغة مجتمع راق . فانفصال الأدبين الخاص والعامي أحدهما عن الآخر جاء مختلف الكيفية في الأمتين : ظهر الأدب العامي في العربية بفساد اللغة الفصحى وانحطاطها ، وظهر الأدب الفصيح في الانجليزية بارتقاء اللغة العامية وارتفاعها

تختلف الأمتان في هذا ، وتختلفان أيضاً في علاقة الأدبين الفصيح والعامي في الأزمنة التالية لانفصالها : ففي العربية كانت الهوة بينهما سحيقة والاتصال يكاد يكون معدوما ، لشدة ترفع الأدب الفصيح عن صاحبه ، بل تجاهله لوجوده ؛ أما في الانجليزية فكانت المسافة بينهما أقرب ، والاتصال أوثق ؛ وظل للأدب العامي دائما للمثقفين اعتبار ، ورحب به الأدب الفصيح مراراً وخلطه بنفسه ، واقتبس أساليبه وصوره ، واصطنع مواضيعه ونغماته ، فأفاد بذلك فائدة كبرى

فالأدبان الفصيح والعامي وإن اختلفا تهذُّبَ لغة واستقامةَ تفكير وعمق نظرة وتنوُّع أشكال ، يستقيان من معين واحد ، هو النفس الانسانية ، بميولها وأحلامها وآمالها . وإذا امتاز أولهما بصفات هي وليدة الحضارة العالية والمجتمع الراقي والعلم المنظم ، فأن الثاني يمتاز بصفات الصدق والبساطة والقرب من الطبيعة التي هي مرجع كل فن ؛ والأدب الفصيح عُرضة من آن الى آن لغلبة اللفظ فيه على المعنى ورجاحة الزخرف على الجوهر ، وظهور التأنق والتحذلق على الشعور الصحيح والطبع المرسل ، فهو بحاجة دائما الى العودة الى الطبيعة ، وخير سبيل له اليها الأدب العامي ، إذا نقاه من أوشابه واستخلص أجود عناصره

ظل للأدب العامي في انجلترا دائماً اعتبار ، وظل كبار الأدباء مهما سمت ثقافتهم واتسعت نظرتهم إلى الحياة على علم به : فشكسبير وسبنسر وملتون طالما استقوا من معينه قصصاً سائغاً ضمنوه آثارهم ، والتقطوا من كنوزه ألفاظاً معبرة ألحقوها باللغة الشعرية الراقية فصارت من بنيتها ؛ وأتيح للأغاني الشعبية من حين إلى حين أفراد من خاصة المثقفين عنوا بجمع ما وصل إلى عهودهم منها ، فكانت تلك المجموعات نصب أعين الشعراء ،

يتخذون منها مواضيع لأشعارهم أريحا كونها فى الأسلوب والنظم

وكان لتلك الأغانى فضل عظيم فى بعث النهضة الرومانسية فى أوائل القرن التاسع عشر ، بعد أن اختنق الشعر فى جو المدينة وأثقلته قيود الألفاظ والتقاليد ؛ فقد انصرف جمهور المتأدبين عن ذلك الضرب المتكلف من النظم إلى مجموعات الأشعار الشعبية التى توفر على جمعها ونشرها إذ ذاك نفر من الأدباء ، وضمنوها ما وصل اليهم من مقطوعات منذ عهد القرون الوسطى فنازلاً ، بعضها يدور حول السحر والطلاسم ، وبعضها من نسج الخرافة ، وبعضها مزيج من الخرافة والتاريخ ، وكلها مملوءة بحب الطبيعة ووصف مناظرها ؛ وكان لاسكتلندا وأدبائها فضل كبير فى تلك الحركة ؛ فقد أخذ الكثير من الأغانى من أدبها العامى ، وقام أدباؤها بالجانب الأكبر من ذلك الجمع والنشر ، وقاموا بالرحلات بين أريافها وحزونها ينقلون عن الزراع والرعاة أغانيهم وأشعارهم

ومن الاسكتلنديين أيضاً كان الرعيل الأول من الشعراء الذين نظموا أشعارهم فى التغنى بالطبيعة وحياة البسطاء من الفلاحين والرعاة وحياة الفروسية الغابرة ؛ ومن أولئك ألان رمزى وروبرت برنز ووالترسكوت . وقد كان ثانى هؤلاء فلاحاً قحاً ، فعبر فى شعره عن حياة فلاحى اسكتلندا وتقاليدهم وأفراحهم وأتراحهم ؛ أما الثالث فقد كان على نقيض ذلك أرستقراطياً سليل أسرة تمتُّ إلى فرسان العصور الوسطى ، فاحتفى شديد الاحتفاء بالأغانى الراجعة إلى تلك العصور ، وازداد شغفاً بالأغانى الشعبية حين اطلع على ما ترجم منها عن الألمانية ، فطاف فى اسكتلندا طلباً للاستزادة ، وجمل محصوله من كل ذلك مادة لأشعاره وقصصه التى رفعته فى زمنه وبعده إلى مصاف كبار الأدباء ، وأكسبته شهرة عظيمة فى القارة الأوربية

وفى هذا الجو المملوء بحب الطبيعة والبساطة والشعور الصادق ، نشأ وردزورث وكولردج ثم شلى وكيتس ، وهذه الروح الخافقة المأخوذة عن الأغانى الشعبية هى التى أوحت اليهم أشعارهم البديعة وجعلتهم ينهجون بالشعر نهجهم الطريف . وكان وردزورث أحرص الجميع على اختيار المواضيع البسيطة لقصيده ، واختيار أشخاصه من بين الريفيين والدهماء ، واستعمال ألفاظهم بذاتها فى شعره ؛ وقد جمع بأكورة ما نظمه على ذلك النمط فى كتابه « الأغانى الشعرية » الذى أخرجه بالاشتراك مع كولردج ، وصدَّراه بمقدمة شرحا فيها المذهب الجديد المستمدة روحه من روح الأغانى والأقاصيص العامية

ووجد الأدب العامى لنفسه مسلكا جديداً إلى الأدب الفصيح ، حين تقدمت القصة وتناولت الحياة الاجتماعية بالوصف الدقيق ، وأولعت بتصوير شتى الشخصيات من الطبقات الفقيرة والأوساط الريفية ، وتناولت معاملات تلك الطبقات والأوساط ومحاوراتها وعقلياتها بالعرض والتحليل ، وتوخت الأمانة للواقع بنقل ألفاظ القوم ومحاكاة أساليبهم فى الخطاب ؛ وفى روايات هاردى تصوير لكل ذلك دقيق لا يبارى دقة ونفاذ بصيرة ؛ وهكذا كسب الأدب الفصيح كسباً جديداً من الأدب العامى

أما فى العربية فكان نصيب الأدب العامى دائماً الزراية والتجاهل ؛ وكان أول ما يأخذ به المتأدب نفسه التخلص من شوائب العامية لفظاً ومعنى وأسلوباً ، وشر ما يوصم به لفظ أنه عامى ، أو معنى أنه سوقى ؛ وأبعد ما يفكر فيه الأديب أن يخالط العامة أو الزراع ليأخذ عنهم ما يتحدثون فيه وما يتأدبون به ، من قصص ممزوج بالخرافة ، وغناء متسم بالسذاجة ، أو يطوف فى الأرض طلباً لذلك كما طاف سكوت وأمثاله فى شعاب اسكتلندا ؛ إنما كان أدباء العربية يشدون الرحال إلى البادية طلباً للفصيح من الكلام والأصيل من الأساليب ، والمأثور من أقوال العرب يُتَّخذُ حجة فى المناظرة ، وأنموذجاً فى الانشاء ؛ وقد عيب على بشار قوله فى جارية :

ربابة ربة البيت تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

لأنه تناول موضوعا بسيطاً عامياً وتحدث فى سذاجة لا تليق بالشعر الفصيح . وإنما كان الأدب العربى فيما ارتضى له أصحابه ، واستن له نقاده ، أدب بلاط يحفل بذكر الملوك لا السوقة ، وندىم أرستقراط يشارك فى حياة العلية ويشمخ عمن دونهم ، ولا يرى فى حياة الدهماء وحيا لقول ، ولا موضوعا لتفكير ؛ فلم يكن من شعراء العربية من يحتفى بوصف أشخاص قريته كما فعل جولد سميث فى « القرية المهجورة » وصفا كله حب وحرارة ، ولا من يرثى أبناء القرية فى مراقدهم الأخيرة ، وهم الذين أفنوا العمر كداً دون أن تسمع الدنيا بأسمائهم أو يصمدوا إلى المجد على أكتاف غيرهم أو دمائهم ، كما فعل جراى فى مرثيته

وقد أثر عن بعض شعراء العربية كأبى نواس وأبى تمـام ، أنهم كانوا يتلقفون أحيانا أقوال العامة فيصوغونها شعراً ، كالذى رواه ابن الأثير من أن أبا تمام وصل من بعض قصيده إلى قوله : « وأحسنُ من نَور يفتّقه الصِّبا » وأرتج عليه ، حتى مر بالباب سائل يقول : « من بياض عطايا كم فى سواد مطالبنا » ، فأكمل أبو تمـام البيت : « بياض العطايا فى سواد المطالب » ، على أن ذلك كان نادراً ضئيل الأثر . أما الاحتفال للأدب العامى ، ومحاولة الانتفاع به ، والرغبة فى جمعه ، والعمل على تلقيح الأدب الفصيح بعناصر الحياة فيه ، فذلك كان بعيداً جداً عن أذهان أدباء العربية

لم يستفد الأدب العربى الفصيح من شقيقه العامى شيئاً ، مع أنه كان أحوج كثيراً من الأدب الأنجليزى إلى تلك الاستفادة ، بل لعل رفضه الاستفادة من أدب العامة كان من أسباب اضمحلاله وسقوطه : فقد أبى الأدب العربى إلا اعتزال أدب العامة بنفس الاصرار والشموخ اللذين اعتزل بهما آداب الأمم الأخرى ، وتعالى عليه تعاليه عليها ؛ ورأى المسعودى وابن النديم نسخاً من قصص ألف ليلة وليلة ، التى بدأت تتجمع حولها آداب العامة فاستخفا بها وحقراها ، ولم يخطر لهما أن بها مادة لعبقرية الأديب أو لقاحا للأدب ، سخرا من الأقاصيص الشعبية فى القرن الرابع الذى كانت الصنعة اللفظية فيه قد ركبت الأدب ، والتقاليد قد كبلت المنظوم والمنثور ، ولو التفت الأدباء إلى ذلك الأدب الشعبى الناشىء واستوحوه جديداً من القول ، لربما شهد الأدب العربى نهضة جديدة وإحياء كالذى شهده الأدب الانجليزى فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن الذى يليه

والحق أن الأدب العربى العامى قد احتوى من المواضيع الأدبية والأشكال الفنية ما أعوز الأدب الفصيح ، بل إنه احتوى من ذلك على ما هو أشبه بالأدب وأنهض بوظيفته وأقرب إلى التعبير عن الشعور . والحق أن الأدب الفصيح ليس بالترجمان الصادق المستقل للمجتمع العربى ، ولا هو بالسجل الكامل لنتاج الذهن العربى وخلاصة النفس العربية فى تعاقب العصور ، والأدب العامى أصدق وأوفى منه فى كل ذلك

فالأدب العامى حافل بآثار الخيال ؛ مملوء برائع القصص ، وهو ما يعوز الأدب العربى الفصيح منثوره ومنظومه ؛ فالقصة الاجتماعية ضرب من الأدب لم يألفه أدباء العربية ، والخيال الذى أولع به الشعراء واشتهر به البحترى خيال كاذب ، إنما هو وهم ومغالطات صبيانية : من توهم أطياف أحبة لا وجود لهم ، واختراع مواقف للوداع لا طائل تحتها ؛ ولو فطن الأدباء لأخذوا بيد القصة فرفعوها من عاميتها إلى لغة الفكر المثقف والوضع المهذب ، فأضافوا بذلك إلى الأدب فناً يجد فيه متحولاً عن فنونه العتيقة

والأدب العامى حافل بضروب الأوزان والقوافى الشعرية المتداخلة ، وهى الأشكال التى رفضها الأدب الفصيح وظل متمسكا دونها بالقصيدة الموحدة القافية ، وأبعدها عن حظيرته فالجأت إلى حظيرة الأدب العامى ؛ على أن تلك الوشـحات التى راجت فى الزجل دون الشـعر أدل على الرقى الأدبى وأقدر على التعبير عن شتى المقاصد من القافية الموحدة ، فتلك فائدة أخرى ما كان أحرى الأدب الفصيح أن يستفيدها من الأدب العامى ؛ ولـكن الأرجح أن ذيوع تلك التوشـيحات فى أدب العامة زاد الأدباء صدوداً عنها فيما يحتفون به من أغراض القول

وأسباب هذا الجفاء الذى استحكم بين الأدبين الفصيح والعامى فى العربية هى : روح المحافظة التى سادت الأدب الفصيح ، والتبجيل العظيم لآثار الأقدمين ، والاعتداد الشديد بلغة الضاد التى هى لغة الـكتاب المنزل والدولة ؛ وهى عوامل نماها وقواها اعتزاز العرب فى صدر الاسلام بقوميتهم وتعاليهم عمن عداهم من الشعوب ، وحرص أبناء تلك الشعوب على التشبـه بهم بحذق لغتهم وتقليد أساليبهم ؛ كل ذلك جعل للفظ عند الأدباء التقديم على المعنى ، فـكل قول عدم اللفظ الفصيح هو عامى سوقى حقير لاقيمة له ، وجعل لأساليب العرب الأقدمين مكانة رفيعة ، فـكل قول شـذ عنها ناب مستهجن ، وكل احتذاء لها مهما أرهقه التكلف وخرج به التقليد عن طور المعقول والمحسوس ، فهو مقبول ممدود فى الأدب ؛ هذا إلى ما تقدمت الاشارة اليه من تعلق الأدباء بأهداب الملـكية والعلية ابتغاء النوال ، مما نأى بجانبهم عن جانب العامة

فالأدب الفصيح استحال فى حيز تلك التقاليد والمراسيم إلى

قوالب متحجرة ، وأوضاع متصلبـة ، غير حر الحركة ولاسهل التجديد ولاقابل لتأثير من الخارج ، لايتأثر إلا بماضيـه ، بتراث العرب الأفحاح الذين قصدوا القصـائد ونسبوا ونخروا وهجوا وارتجلوا الخطب ؛ وتلك حال إذا صار اليها الفن جمد وبعد عن الأمانة للحياة والتصوير لحقائقها . وشبيـه بذلك ماصار اليه فن النحت وفن التصوير عند قدماء المصريين من جمود وزيغ عن الحقيقة ، حين كبلتها الأوضاع والرموز الدينية

وقد أصبـح لزاما على الأدب الفصيـح وقد كبلته التقاليد بالقيود ، وأحاطته الصناعة بالسدود ، أن يترك التعبير الصحيح عن شعور المجتمـع للادب العامى ، وذلك هو الذى تم دون أن يشعر رجاله ، ودون أن يقلعوا عن كبريائهم وترفعهم عن الشعب . فظلوا فى تقاليدهم الجامدة وبراعاتهم اللفظيـة سادرين ، وقد نما الأدب الشعبى واتسع ، وحوى من صادق المشاعر والعواطف ، وجميل المحـاورات والمناظر ، ما أعوز الأدب الفصيح ، وماقربه إلى نفوس الشعب وإلى نفوس الأمم الأخرى معا :

فقد فطن الأوربيون من عهد الحروب الصليبيـة إلى ما فى الأدب العربى من جمال وعبقرية ومتعة ، فتـداولوا أقاصيصه وأغانيه وحاكوها فى آدابهم الشـعبية وخلطوها بها ، وترجموا مجموعات منهـا إلى لغاتهم فى شتى الأزمنة ، ولم يألوها حفاوة وامتداحا ، وعرفوا فضلها فى إدخال العنصر الرومانسى فى آدابهم العالية ، وهى نفس الوظيفة التى أداها أدبهم الشعبى ؛ أما موقفهم من الأدب العربى الفصيح فكان خلاف ذلك : فأنهم كلما حاولوا دراسته والانتفاع به فى آدابهم صدهم عنه ما فيه من غرابة معان متكلفة لا تمت إلى الحياة الصحيحة ، ومن زخارف ألفاظ يحتفى بها أدباء العربية كأنها حقائق مجسمة ، فاذا ترجمت لم تعد شيئاً مذكورا ، فرجموا خائبين وعزوا تلك الغرابة إلى اختلاف عقليتى الشرق والغرب ، وما هو كذلك وإنما مرجعها ما خالط الأدب الفصيح من تقاليد جامدة شبيهة بالرموز الدينية ، بعدت به عن التعبير عن شعور النفس الانسانية ، شرقية كانت أو غربية

فالأدب العربى العامى قد احتوى من عناصـر الصدق فى الشعور ، وتصوير المجتمع ، ووثبات الخيال ما أعوز الأدب الفصيح كثيرا ، وهو مع ذلك قد لاقى الاهمال والازدراء من المثقفين وخسر الأدب الفصيح معونته فى العصور المـاضية ، وهو إن لم يكن أحرى من الأدب الفصيح بالدرس ، وأكثر منه فائدة لمؤرخ الأدب والمجتمع ، فليس دونه فى تلك الوجوه ، وهو خليق أن يدرس معه جنباً إلى جنب ، وتجمع آثاره المتخلفة من شتى العصور ، ففيها هى ذاتها متعة جليلة ، وفيها بجانب ذلك للشاعر والقصصى ما يبعث الالهام ، ويبسط مناديح التفكير والقول ، ويدنى من الطبيعة والصدق

فتحى أبو السعود

ابن خـــلدون

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

فيه عرض نقدى مستفيض لحياة المؤرخ الفيلسوف وتراثه الفكرى والاجتماعى ووصف ضاف لآثاره ومنهجه وأسلوبه ، ومقارنات نقدية بين نظرياته ونظريات علماء الاجتماع فى الغرب . يقع فى مائتى صفحة طبع دار الكتب ومجلد تجليداً حسنا

ثمنه ٨ قروش . ولمشتركى الرسالة مدة يناير تخفيض ٢٥ ٪

عدا البريد وهو قرشان للداخل وخمسة للخارج . ويطلب من مجلة الرسالة ولجنة التأليف والترجمة وجميع المكاتب الشهيرة

هيلويز الجديدة

قصة رائعة فى شكل رسائل تأليف

جان جاك روسو

ونقلها إلى العربية الأستاذ

أحمد حسن الزيات

وتنشر تباعا فى مجلة

الروايـــة

ابتداء من عددها الأول الذى يصدر فى ١٥ يناير سنة ٩٣٧

نظرية النبوة عند الفارابى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٨ —

انتهى بنا الحديث فى المقال السابق الى بيان أثر نظرية النبوة الفارابية فى القرون الوسطى . ويظهر أنها لم تقف عند هذا الحد بل جاوزته الى التاريخ الحديث . ونرى واجباً علينا لإتمام هذا البحث أن نشير الى بعض المفكرين المحدثين فى الغرب والشرق الذين حاولوا تفسير النبوة تفسيرا يمت بصلة الى النظرية الفارابية ؛ ولن نتحدث من بين فلاسفة الغرب إلا عن اسبينوزا الذى أشرنا فى بحث سابق الى أنه يلتقى مع الفارابى فى نقط كثيرة (١) . وأما مفكرو الشرق ومصلحوه فسنذكر من بينهم شخصيتين جليلتين كانت لهما اليد الطولى فى نهضة الأمم الاسلامية الأخيرة وتقدمها العلمى والأدبى ، وهما السيد جمال الدين الأفغانى والأستاذ الامام . ولا نظن أحدا الى الآن حاول أن يربط آراء هذين المصلحين ربطاً وثيقاً بنظريات علماء الاسلام الأول ومفكريه ، اللهم إلا محاولات ضئيلة ترمى الى إيجاد علاقة بينهما ، أو بين الأستاذ الامام بوجه خاص من جانب وابن قيم الجوزية وابن تيمية والغزالى من جانب آخر (٢) . وإذا صح أن آراءهما الدينية قد ربطت بأقوال بعض أئمة السلف فأبحاثهما العقلية لا تزال حتى الساعة غير واضحة الصلة بنظريات فلاسفة الاسلام . وخطأ أن يظن أن هذه الصلة مقطوعة أو معدومة ، فأن السيد والامام إنما تم تكوينهما أولا وبالذات على حساب المصادر العربية ؛ وفى مجلة العروة الوثقى ما يشهد بأنهما كانا يدعوان الى دراسة فلاسفة الاسلام وتفهم أفكارهم (٣) . وسنرى بعد قليل كيف يلتقيان فى مشكلة من أهم المشاكل الاسلامية

كنا نعلم أن الصلة بين العقل والنقل بين الفلسفة والدين شغلت الفلاسفة المحدثين كما كانت حجر الزاوية فى فلسفة القرون الوسطى . وقد وقف اسبينوزا على هذا الموضوع كتابا مستقلاً غير معروف من جمهور القراء ، لأن نفوذ كتابه الآخر المشهور « الأخلاق » غطى عليه ، ونعنى به « رسالته الدينية السياسية » التى تتمم فى رأينا مذهبه الفلسفى . ذلك لأنه إذا كان « كتاب الأخلاق » يوضح الحقائق العقلية ، فأن هذه « الرسالة » تشرح الحقائق النقلية . وهذان الضربان من الحقائق متميزان عند اسبينوزا ومستقلان تمام الاستقلال ويقابلان عالمين منفصلين : الحقيقة العقلية موضوع الفلسفة ، والحقيقة النقلية موضوع علم الآلهيات ؛ واسبينوزا فيلسوف وعالم فى الآلهيات فى آن واحد ، فلا يستطيع أن يلغى إحدى هاتين الحقيقتين ولا أن يدمجها فى الأخرى ، بل يقرر أن كل واحدة منهما ضرورية ومطلقة النفوذ فى مضمارها ؛ والدين إن لم يكن الحقيقة كلها حقيق فى ذاته ولا غنى للجمعية عنه (١) . غير أن الحقيقة الدينية تعتمد رأساً على الوحى والالهام ، فكيف يتم هذا الوحى وبأنه وسيلة يستطيع الأنبياء الوصول إليه ؟ هذا هو السؤال الذى حاول اسبينوزا أن يجيب عليه . وفى رأيه أنا إذا تتبعنا الكتب المقدسة جميعها وجدنا أن الالهامات النبوية المختلفة سواء أكانت عبارات صريحة أم صوراً رمزية إنما تتم بواسطة مخيلة قوية (٢) . وعلى هذا لا تتطلب النبوة شرطا آخر سوى أن يكون الأنبياء ذوى خيالة نشيطة متنبهة (٣)

لا يمكننا أن نمر بهذه الآراء دون أن نفكر على الفور فى الفارابى وفى الدراسات الفلسفية اليهودية فى القرون الوسطى . حقا إن المعرفة الناتجة عن الوحى والالهام لا تساوى فى نظر اسبينوزا المعرفة العقلية ، مع أنهما عند الفارابى متساويتان متكافئتان ؛ ولعل هذا راجع إلى أن اسبينوزا فيلسوف قبل أن يكون لاهوتياً ، وديكارتى قبل أن يكون فارابياً ؛ ولا شك فى أن الأفكار الواضحة النيرة هى وحدها عند ديكارت سبيل المعرفة

(١) مذكور ، الرسالة ، عدد ١٧٢ ، ص ١٦٦٨

(٢) I. Scgach, Muhmed Abdo, dens Enqyc de. Islam

(٣) العروة الوثقى ، المقالة الرابعة

(١) Brochord, Etnds, 336 — 337

(٢) Spinoza, Tralté théologico. politique, p. 18

(٣) Ibip., p, 24

اليقينية غير أنه بالرغم من هذا الخلاف فمن المسلم أن الفيلسوف العربي والفيلسوف اليهودي متفقان على أن قوة الخيالة شرط أساسي في النبوة . وهنا نتساءل : هل هذا الاتفاق مجرد مصادفة أو أخذ اسبينوزا عن الفارابي بعض آرائه في النبوة ؟ إذا ما لاحظنا أن الأول درس في عناية مؤلفات ابن ميمون أمكننا أن ندرك الصلة بين الأفكار الاسبينوزية ونظرية النبوة الفارابية . ونحن نلحظ من جهة أخرى أن مذهب السببية عند الفيلسوفين متحد ، وأنهما يقبلان فكرة التنبؤ بالغيب دون أن يكون لها أي أثر في مجرى القوانين الطبيعية . ففي مقدور ذوي النفوس الممتازة أن يقفوا أثناء اليقظة أو في حالة النوم على الأمور المستقبلة ويتكهنوا ببعض الحوادث التي ستحصل غداً أو بعد غد لا محالة [1] . وعلى كل حال فنحن لا نذهب مطلقاً إلى أن اسبينوزا أخذ عن الفارابي مباشرة ، لأنه ما كان يعرف العربية ؛ وبعيد أن يكون قد وقع في يده شيء مما ترجم من كتب الفارابي إلى اللاتينية . وكل الذي نعتقده أنه استقى بعض الأفكار العربية من مصدر ثابت هو كتاب « دلالة الحائرين » لابن ميمون ، وفي هذا الكتاب ، كما قدمنا قبل وافر عن نظرية النبوة

ولنعد الآن مرة أخرى إلى الشرق وإلى السيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الامام بوجه خاص . فأما السيد فلم يخلف لنا مؤلفات كثيرة نستطيع أن نقرأ فيها كل أبحاثه ونظرياته ، وفيها وراء « رسالته في الرد على الدهريين » ، و« تاريخه للافغان » لا نكاد نجد له إلا مقالات متفرقة في « العروة الوثقى » وفي بعض الصحف والمجلات الموجودة في ذلك العهد [2] . وكأنه اكتفى بأن يلقن أتباعه وتلاميذه تعاليمه دون أن يودعها بطون الكتب شأن سقراط وطائفة من المصلحين . هذا إلى أن حياة الاضطراب والرحلة والانتقال التي قضاها ما كانت تسمح له بالهدوء الكافي للجمع والتأليف . ومهما يكن فقد أدلى في موضوع النبوة بآراء جديرة بأن تسرد هنا . وذلك أنه أثناء مقامه الأول في القسطنطينية سنة ١٨٧٠ دعي إلى إلقاء محاضرة في دار الفنون . ويظهر أنه شاء أن يكون موضوع المحاضرة متناسباً مع المكان الذي ألقيت فيه ، ولهذا تحدث عن فائدة الفنون . وفي خلال هذا الحديث شبه الجمعية بجسم مرتبط الأجزاء والأعضاء ، ولكل عضو من أعضائه خاصة . ثم انتقل من هذا إلى أنه لا حياة للجسم إلا بالروح ، وروح هذا الجسم هي النبوة أو الحكمة . فالنبي والحكيم من الجمعية الانسانية بمنزلة الروح من البدن . وكل ما بينهما من فارق : هو أن النبوة منحة إلهية لا تنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده « والله أعلم حيث يجعل رسالته » في حين أن الحكمة تنال بالبحث والنظر . وفوق ذلك فالنبي معصوم من الخطأ والزلل ، بينما الحكيم يجوز عليه ذلك ويقع فيه [1] وأول شيء يستخرج من التشبيه السابق أن النبي عضو وعضو هام من أعضاء الجمعية الانسانية ، وأن النبوة مهمة ووظيفة من الوظائف الضرورية للمجتمع . وفي هذا ما هيأ السبيل لشيخ الاسلام حسن فهمي أن يثيرها شعواء على السيد متهما إياه بأنه يزعم أن النبوة فن ، وأن النبي صانع . وقد أحدثت هذه التهمة ضجة عنيفة في صحف الشرق المختلفة ، وترتب عليها أن أرغم السيد على مفارقة استامبول سنة ١٨٧١ [2]

(التتمة في العدد القادم) ابراهيم بيومي مدكور

(١) Brochard, Etudes, p. 335

(٢) Goldziher, Gyamâl al Din dans, Encyc qe l'Islam t. I. p. 1039

(١) Ibid., 1037—Browee The Tersian Bexolution, p.7

(٢) جورجي زيدان مشاهير الشرق ج ٢ ص ٥٤ — ٦٦

أدولف

لبنجمان كونستان الفرنسي

عربه الدكتور حسن ضياء

أحلى تحليل للقلب الانساني وأصفى مرآة يبدو فيها كل دقائق عواطفه
نفسه هو كما قال الدكتور طه حسين في مقدمته
كتاب عظيم الخطر من جميع الوجوه

ثمنه ٣٠ مليما ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى بمصر
والمكاتب الكبرى الأخرى

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

مدير مصلحة الكيمياء

عزرائيل يقبض يد صفراء

وصل الفائت : بنى ريد رئيس بعثة الحمى الصفراء ومساعده كارول بيتا صغيراً وأقاما فيه ثلاثة رجال ، الطبيب كوك والجندين فوك وجرنجان ، أقاموا فى أقصة الموتى بالحمى وفى دمائهم ، فلم تصب الحمى أحداً منهم . إذن فالحمى لا تنتقل من ثياب المرضى ولا من قذرهم ، وإنما من البعوض . وخشية أن تكون الحمى لم تصبهم لأنهم بطبيعتهم محصنون ، حقنا أحدهم بدم مريض ، وسلطا على الآخر بعوضة وبيئة ، فجاءت الحمى كليهما

— ٥ —

وبينا هذه التجارب تجرى كان رجل غير جندىّ من أُهَيُو Ohio [1] كاسف البال حزيناً . هذا جون موران John Moran الذى انتصب له ريد قائماً ورفع له يده بالسلام . تذكر أنه تطوع « فى سبيل العلم والانسانية » ورفض بتاتاً أن يأخذ أجراً ، وقرصته بعوضة الحمى ذات الأقلام الفضية البيضاء ، وبعد ذلك قرصته مراراً بعوضات مختارات تحمل السم نقياً فى بطنها ، ولكنه صمد وا أسفاه لكل هذا وظل صحيحاً سليما . فحار ريد ماذا يصنع به

ثم أسعده الخيال فقام فبنى له بيتاً صغيراً ثانياً إلى جانب ذلك البيت الكريه الأول ، وكان هذا البيت الجديد على نقيض جاره القديم . فكانت له نوافذ فى قبالة الباب حتى يجرى فيه الهواء ، وكان بارداً ، وكان به سرير لطيف نظيف عُقِّم فراشه بالبخار . وعلى الجملة كان منزلاً ترضاه الصحة غاية الرضاء ، فكأنما بُنِى خصيصاً لمسلول يعيش فيه ليطيب ؛ وأقام فى وسط البيت ستراً من ثوب شفٍّ دقيق ضاقت فروج نسجه فلا تأذن لأصغر بعوضة أن تنفذ منها . ونال الستر من البيت عدا الحائطين سقفه وأرضه

(١) بلدة بالولايات المتحدة وقد ذكرناها سابقاً

وفى اليوم الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩٠٠ فى الساعة الثانية عشر ظهراً دخل البيتَ مورانُ بعد استحمام ، وليس عليه من الثياب غير قميص فضفاض للنوم بعد مضت خمس دقائق ، فجاء ريد وكارول بوعاء من زجاج فتحاه فى البيت فخرج منه خمس عشرة من بعوضات أنثيات عطشى تطنّ حنيناً إلى شربة من دم . وكانت كل واحدة من هذه الخمس عشرة شربت فى أيام مختلفات قبل هذا من دم صبيةٍ صفر الوجوه فى مستشفى لاس أنياس

دخل موران إلى هذه الحجرة النظيفة الصغيرة بعد استحمامة فى قميص واحد ورقد على سريرها النظيف وانتظر القدَرَ الذى يكون . هذا موران ، فهل يسمع به أحد من الناس الآن ! وبعد دقيقة طن البعوض حول رأسه . وبعد دقيقتين قرصه البعوض . وفى ثلاثين دقيقة كنت تراه راقداً سطيحاً وفى جلده عدّة وخزات وخزها إياه البعوض وهو صاغر مستسلم لا يؤذن له حتى فى شفاء غليله بدق هذا البعوض

وعاد للقرص فى منتصف الساعة الخامسة من نفس اليوم ، وعاد إليه مرة ثالثة فى غد اليوم ليعطِى الفرصة لأناث البعوض التى لم تعثر عليه فتعضه ، لتعثر عليه وتعضه حتى تشتفى منه ؛ وكان إلى جانب موران فى النصف الآخر من البيت شابان يعيشان فيه لا يفصلهما عن موران وعن بعوضه غير الستر الشفاف ، وعاشا فى هذا النصف ثمانية عشر شهرا فى سلام

أما موران ففى صبيحة عيد الميلاد [1] من عام ١٩٠٠ استقبله العيد بالهدايا الآتية : وجع ينبض فى رأسه ، وحمرة فى عينيه يزيدها نور الشمس ألماً ، وهمود بلغ منه حتى عظامه ؛ لقد عدّه البعوض شرّ عدّة ، وأطاح به حتى كان من الموت على قيد شعره ؛ ثم أخذت الأقدار بيده فحمد اللهَ ريدُ على أنه اشتفى ، ولكنه اشتفى ليعيش فى خمول ذكر ما استحقه أبداً ، وعلى كل حال فقد نال أمنيته — فى سبيل العلم والانسانية ؛ والنتيجة أنه هوفوك وجرنجان وكوك وكل من تطوع معهم أو أُوجر ، كل هؤلاء أثبتوا أن البيت الأول بيتَ الكرب والهول خلا من البعوض فخلا من كل خطر برغم قذره ، وأن البيت الجميل النظيف الثانى دخل إليه البعوض فدخل إليه كل خطر برغم

(١) هو ميلاد المسيح وهو يوم ٢٥ ديسمبر

أناقته ونظافته . ووقع ريد أخيراً على جواب كل سؤال فى معضلته الكبرى ، وكتب فى أسلوبه العتيق يقول : « إن أول شرط يجب توفره فى بناء ليكون وبيئاً بالحمى الصفراء أن يحل فيه بعوض عض من قبلُ مرضى بالحمى الصفراء »

كلمة ما أبسطها . وكلمة ما أصدقها . وانتهى الأمر وكان ما كان . وكتب ريد إلى زوجه : « إن الدعاء الذى بتّ أدعو الله إياه عشرين عاماً : أن يكون من نصيبى بطريقة ما وفى وقت ما أن أخفّف عن الانسان شيئاً من شقاء الانسان ، هذا الدعاء قد استجابه الله ! وهذا العام الجديد يُطلّ علينا ، فألفَ عام وأنتِ بخير يا عزيزتى . . . أنصتى ! أنصتى ! هؤلاء عشرون بوّاقاً ينفخون أبواقهم معاً يسترقدون العام القديم »(١)

أم هم ينفخون أبواقهم تحية لازار ! أم هم ينفخون أبواقهم احتفالاً بالحمى الصفراء أنْ أمكن محوُها من على ظهر الأرض ! أم ينفخ هؤلاء الموسيقيون أبواقهم إنذاراً بالقدَرَ الخبىء الذى لن يلبث أن يجىء أفراد هذه البعثة الصغيرة بُعَيْد ساعة نصرها بقليل . . .

— ٦ —

وجاءت الدنيا إلى هبانا ، وهتفت هناك لريد . وجاء العلماء إلى هبانا واشتركوا فى نقاشهم العابس وفى التساؤل والتشكك المعهود . ثم جاء وليم كُرُوفورد جُرجاس William Crowford Gorgas (٢) ، وكان رجلاً مثلَ ريد لا يُعاب ، جاء إلى هبانا يتدرّب استعداداً لصنيعه الأكبر الأخلد فى بنما Panama ، فدخل إلى مياذيب هبانا وإلى مجمّعات مراحيضها وإلى أحواض مائها وشن فيها الغارة على البعوضة الاستيجوميّة (٣) ، وفى تسعين يوماً خلصت المدينة من الوباء لأول مرة بعد قرنين فلم تقع فيها إصابة واحدة من الحمى الصفراء . انقلابٌ كأنه السحر ، ولكن مع هذا بقى الشك يساور الأطباء العلماء والنطاسيّين ذوى اللحى المبوسة ، فى أوربا وأمريكا ، فظلوا يسألون عن هذا ، ويعيدون الكرة على هذا ، فِعْلَ الذى لم يطمئن قلبه . . . وذات صباح دخل خمسون من هؤلاء الشكاكين بيت البعوض المذكور وأخذوا يقولون : « إن هذه التجارب بارعة جميلة ، ولكن نتائجها يجب أن تُمحّص وتوزن من غير عِوَجٍ أو ميل . . . » . وبينما هم فيما هم فيه انكشف غطاء وعاء به بعض أُنثيات البعوض ، انكشف بالطبع اتفاقاً ، فخرجت البعوضات منه وذهبت قُدُماً إلى وجوه هؤلاء العلماء تطن طنيناً وفى عيونها بسمة الخبيث ولهفة الجوعان . فواحسرتا على العلماء الأجلاء ! طار الشك من قلوبهم ، كما طارت أرجلهم بهم — إلى الباب . وارتد الستار بينهم وبين البعوض بقوة صاخبة تحكى عن قوة اقتناعهم بالذى قال ريد . ثم انضح الأمر فاذا بالبعوض لم يكن لُوّث بالحمى

بعدئذ جاء جرجاس ، وقد سبق ذكره ، وجاء معه جون جِتراس John Gaitéras وكان كوبيّا عمدةً فى الحمى الصفراء ، وكانا كلاهما اقتنعا فى الذين اقتنعوا بالتجارب التى أجريت فى معسكر لازار ، فاختطا الخطط لتطبيق نتائج هذه التجارب . وكانت خططاً جميلة ، ولكنها كانت مع الأسف سريعة نَزِقة . قالا : « إن من الغريب أن تلك الاصابات التى حدثت فى معسكر لازار لم تمت أصحابها . إنها كانت إصابات ذات أعراض نموذجية من الحمى الصفراء ، ولكن أصحابها اشتفوا منها وصحّوا من بعدها . أفيكون سبب ذلك أن ريد لم يحملهم على أرجلهم طويلا وبعث بهم إلى الفراش ليستريحوا سريعاً » . وبدآ يلعبان بالنار . قالا : « سنأتى بنفر من المهاجرين الاسبانيين الذين وردوا حديثاً ، فهُمْ غير حصينين ، ثم نُصيبهم بالحمى إصابة شديدة ، ولكن على أسلوب ريد لتكون العاقبة مأمونة » . هكذا فكّرا وهكذا اختطّا ، وما كان أيسر محو الوباء بأبادة البعوض وهو من البعوض الأنيس الذى يسكن منازل الناس ويتناسل فى أماكن بين ظهرانيهم غير خافية . ولكنهما قالا : « وبهذا نكون أيضاً قد أعدنا تجارب ريد وخرجنا على نفس نتائجه فزدناها ثبوتاً »

وجاءا بالمهاجرين ، وكانوا قوماً جهلاء لا يفقهون ، فأنصتوا للذى قالاه لهم واطمأنوا إلى أن الاصابة ستكون مأمونة العاقبة . ثم عض البعوض سبعة منهم ، وعض ممرضة أمريكية شابة جسورة . فخرج من المستشفى من هؤلاء الثمانية مهاجران والممرضة ، وقد أمن الثلاثة عواقب المرض جديدة ، وأمنوا عواقب الأمراض أجمع ، وكلٌّ همٌّ من هموم الدنيا . خرجوا محمولين على الأعناق والطبول تدق دقّاً بطيئاً خافتاً حزيناً . . .

(١) فى المعسكرات ينفخ البواق البوق ليلا لترقد الجند وتطفأ الأنوار ويسود السكون . وإنى لأحسب هؤلاء البواقين يسترقدون قرناً لا عاماً فقد كان العام عام ١٩٠٠ (المترجم)

(٢) طبيب فى الجيش الأمريكى خلد اسمه عند ما كافح الحمى الصفراء فى منطقة تنال بنما حتى محاها . وتملك زمام حمى الملاريا فيها . وبذلك نجح حفر القنال (المترجم)

(٣) هذا اسم بعوضة الحمى الصفراء ، بل هكذا كانت تسمى عندئذ

ألا ما كان أبرع ريد فى بحثه . ألا ما كان أسعده حظًّا فى بحثه — فى تلك التجارب التى خلت من الموت فى معسكر لا زار . . .

واســـتولى الذعر على هبانا ، وأخذت الجماهير تتجمع وتتحدث بالغضب اصطخاباً ، ومن ذا الذى يلومهم والحياة الانسانية عند كل الناس غالية مقدسة

كان كارول قد عاد إلى هبانا ليقضى فى بعض مسائل علمية صغيرة ، وكان رجلاً كالحنوطى [1] ذهبت العاطفة من قلبه ، وكان فوق ذلك جندياً . قال : « نحن الآن نستطيع أن نستأصل الحمى الصفراء فلا تكون ، ونحن الآن نعلم بأى وسيلة تنتقل من رجل لرجل ، ولكن الذى لا نعلمه هو الشىء الذى يسببها » . هذا ما قال كارول لريد ، وهذا ما قاله ريد لكارول ، ولا بد من اعترافنا ، واعتراف كل أحد معنا ، بأن الشىء الذى لم يعلماه بعد ، والذى ظلاّ يعتزمان طلبه ، إنما كان أمراً علمياً محضاً لا يَهُمّ إلاّ من يطلبون المعرفة المعرفة . وإنى أسألك أكان هذا امرأً من الخطورة بحيث يستحق ضياع الأرواح ، ولو أرواح مهاجرين إسبانيين ؟ أما أنا فلن أستطيع جواب هذا السؤال . وأما ريد وكارول فقد أجاباه بنعم . ولا عجب . فهما بدآ هـذا الأمر جنديين يطيعان أمراً ، وبدآه إنسانين يخاطران بروحيهما فى سبيل الانسان ، وأذنا للبعوض أن يصبّ سمّه فى جلديهما فى سبيل المعرفة القاسية الباردة ، ثم زهاها المجد الذى يكون من كشف الغطاء عن كل مجهول . . .

وتأكّد لديهما أن الوباء ليس له بَشِـلّة تُرى ، أو أية مكروبة أخرى تُريها أكبر المجاهر . لقد نظرا فى أكبدة الناس وأحشاء البعوض طلبا لهذا المكروب عبثاً . ولكن أمعنى هذا أنه لا يوجد ؟ كلا . فهناك احتمالات خفية أخرى . فهناك احتمال وجود نوع أصغر من المكروب دق حتى عن أكبر مكرسكوب لا يحسن وجوده إلا بقتل الرجال ونفث سمه الخفىّ فيهم ، قد تكون هذه طبيعة مكروب هـذه الحمى الصفراء . يؤيد هذا أن فريدريك لفلار ، الرجل القديم ذا الشوارب الكبيرة ، كشف عن وجود مثل هذه الاحياء فى داء « الفم والقدم » الذى يصيب العجول . وودّ ريد وكارول أن يكشفا فى الحمى الصفراء عن وجود مثل هذا المكروب الذى خرج عن طوق المجاهر فلم تكتشفه

(١) الحنوط كل طيب يخلط لأجسام الموتى وأكفانهم . والحنوطى نسبة إليه وهى لا شك أصل كلمة حنوتى العامية المصرية (المترجم)

وكان ريد فى شغل شاغل ، فبعث كارول إلى هبانا يستطلع الأمر ، فلما جاءها غضب أشد الغضب لموت من مات فى تجارب جتراس ، وكان جتراس فى هلع هالع ، ومن ذا الذى يلومه ، فمنع كارولَ أن يستخرج دماً من مرضى الحمى الصفراء . لا ، لا . لا يمكن أن يستخرج دماً أبداً . بل ولن يؤذن لكارول أن يعضهم ببعوضه . وزاد جتراسُ فى سُخفه ففضّل ألا يفحص كارولُ حتى الجثث التى تموت خشيةَ أن يثير هذا ثائرة السكان . فكتب كارول إلى ريد يقول : « . . . فتصور خيبتى فى وسط هذا » ، وزاد فاستنكر مخاوف قوم جُهّال يتسخّفون . على أن هذا لم يورثه الخيبة ، فما مِثْل كارول يخيب

ولسنا ندرى أى حيلة أعمل ، وبأى سحر استنجد حتى جاء بدم وبىء من مريض بالحمى ، ورشّحه فى مرشّح خزفىّ دقّت مسامّه حتى لا تنفذ منه المكروبات التى تريها المجاهر ، وأخذ السائل الراشح الذى نفذ من الخزف فحقنه تحت جلد ثلاثة رجال غير حصينين من الحمى — ولا يذكر التاريخ كيف أغراهم بالرضاء . فأصيب اثنان منهم . فصرخ صاحبنا صرخة الفرح : إن الحمى الصفراء مثل مرض « الفم والقدم » ، كلاهما ينشأ عن أحياء بالغة الصغر تستطيع الافلات من مرشح خزفى دقيق المسام

وكتب ريد إلى كارول يقول : « كُفّ عن قتل الناس فقد غلونا فيه » ، ولكن أين الكفّ من كارول ، فلا بد له من الحصول على بعوض وبىء ، وحصل عليه ببعض طرائقه الجريئة الشيطانية ، وانتزع الرحمة من قلبه وقام بأخيرة تجاربه

وقال فى صدد ماجرى : « لقد عضنى البعوض ومرضتُ ، وكنت أنتظر الخاتمة تأتى فى بحر سبعة أيام . ولكنها لم تأت ، فاقتنعتُ كل الاقتناع بأن قوة الاصابة تتوقف على قابلية المصاب أكثر منها على عدد القرصات . ففى التاسع من أكتوبر عام ١٩٠١ جمعتُ كل البعوض الوبىء الذى عندى ، وكانت ثمان أتاها الوباء قبل ذلك بثمانية عشر يوماً ، وسلّطتُها عامداً على رجل غير حصين ، فكانت الاصابة التى جاءته إصابة معتدلة » . وختم مقاله ختام الفاخر المنتصر . ولكن ماذا كان الحال لو أن هذا المريض مات ، والله يعلم أن احتمال هذا كان كبيراً ؟

هذه قصة هذه العصابة العجيبة ، غريبةٌ ماوَسِعتْ الغرابة . وإنى لأعود بالذكر إلى الذى كان من هذا الباحث كارول ، وأتصوره وقد عَرَتْ من الشعر رأسه ، واحتجبت عيناه وراء منظاره ،

ثم أذكر أنه كان حطّاباً قبل أن يكون بحّاثاً ، ثم أذكر ما كان من جرأته الخارقة وقلة مبالاته بالعاقبة فى أمر نفسه ، فلا أتمالك أن أرفع قبعتى احتراماً له وإعجاباً به بالرغم من إشرامه الشديد وإلحاحه فى أن يتجسس عن أسرار الطبيعة فى أخطر مخابئها . إن كارول كان أول رجل أصيب فى هذا السبيل ، وهو الذى سنّ السنّة الأولى فاقتدى به الجنود الأمريكيون ، وقفّى على أثره الكاتب المكّى ، وتشجع به المهاجرون الاسبانيون رقم ٥٦٤٦٣٦٢٦١ ، وحذا على حذوه البقية الباقية من هذا النفر الكريم الذين عرفنا أعمالهم وجهلنا أسماءهم — كلّ هذا فى سبيل العلم وسبيل الانسانية ! ولعلك تذكر أنه لما أصيب وقف قلبه أو كاد فى سبيل العلم وفى سبيل الانسانية . فهذا القلب الذى وقف أو كاد فى عام ١٩٠٠ ، ثم تشبث بعد ذلك بالحياة ، عاد فى عام ١٩٠٧ فوقف وقفة لا حركة من بعدها . . .

— ٧ —

وقبل ذلك بخمسة أعوام ، أى فى عام ١٩٠٢ ، مات ريدو هو فى عنفوان شبابه . وكان متعباً أشد التعب برغم صباه . مات وهتاف الأمم له يزداد اصطخاباً . وهل تدرى بأى علة مات ؟ بالزائدة الدودية . ومات فقيراً . تمتم لصديقه كين Kean وهو على سرير العمليات قبيل أن يهبط المخروط بالأثير على وجهه : « انى لم أترك لزوجتى ولا لبنتى من متاع الدنيا الا القليل . . . القليل .. القليل » ، وأسكت الأثير لسانه ، وهبط به الى الأخير من أحلامه

لنا الفخار فى أمتنا وفى مجلس أمتنا[1] ، فانهم منحوا مدام امِلى لورانس ريد ، زوجة الرجل الذى اقتصد للعالم ملايين الدولارات ، دَعْ ذكر الأنفس ، منحوها منحة طيبة ، خمسمائة وألف دولار معاشاً سنوياً ، ومنحوا مثلها لأرملة لازار ، ومثلها لأرملة كارول ، ولا شك أن هذا كانت فيه الكفاية لهن ، بدليل أن لجنة من شيوخ المجلس قالت فى غرابة وإبهام : « إن الأرامل لا يزال باب الرزق فى وجوههن مفتوحا »

ولكن ماالذى جرى لكيسنجر ، جندىّ أهْيو ، الذى غامر فى التجربة وصمد فيها صمودا فى سبيل العلم والانسانية وحدهما ؟ إن الحمى الصفراء لم تقتله . وإنه رفض ان يأخذ أجرا عن آلامه ومخاطره . ولكنهم أخيرا وبعد الجهد أغروه بقبول خمس عشرة رمائة دولار وساعة من ذهب ، أهديت إليه فى حفل جنود معسكر كولومبيا وضباطه . إنه لم يمت بالحمى ، ولكن خرج سمّ الحمى من جسده ليدخل فيه ما هو شر منه : شللٌ زحف فى جثمانه بطيئا . واليوم هو مُقعَد يَعُدّ الزمن مصابرةً على عقارب ساعته ، وهى من ذهب ! وساعده الحظ أخيرا فجاءته زوجة طيبة تموله من غسل الثياب للناس

وماذا جرى للقوم الآخرين ؟ إن الوقت يضيق بى عن تناولهم . وفوق هذا فأنا لا أدرى ماذا جرى لهم . لقد لقى كل واحد من هذا النفر قسمةً مختلفة خصته بها المقادير . أى والله لقد كانوا زمرة من أغرب الزمر ، قامت فى تلك السنوات العشر بأعجب ما قام به صُيّاد المكروب ، وتوّجتْ هذه الصيادةَ بأفخرها وأنخمها ، وعملت بيد واحدة وقلب واحد فى بحث وباء الحمى الصفراء حتى لم يبق من سمّه وأنا أكتب هذا ما يُغطّى رأس دبوس

قال دافيد بروس David Bruce وهو محارب الموت القدير : « ليس بمستطاع فى الوقت الحاضر أن نتخذ من أجسام الناس أداة للتجريب » . فاليوم ماذا يقول بعد الذى كان !

أحمد زكى

(١) المجلس النيابى للولايات المتحدة . ويخيل إلى أن الكلام القادم به طعم السخرية دائما أن أتذوقه فلم أفلح (المترجم)

تحت الطبع :

المظـــلوم

بقلم الروائى المعروف الأستاذ عمر عزمى

تحفة أدبيه رائعة ، وقصة بيانية ممتعة ، ذات مواقف دامية ، ومآسى اجتماعيـة هائلة ، تعطيك صورة حقيقية لحيـاة السجن المريرة ، وأخرى عن أخطاء القانون فى أسلوب روائى شيق جديد

وملحق بها مجموعة رسائل خاصـة كتبها المؤلف فى سجنه الى شقيقته تتناول تحليل نفسـية المظلوم فى جميع أدوار سجنه ، وماينتابه من عذاب وأشجان ...

بادر الى الاشـتراك فى نسخة واحدة من هذا المجلد بارسال ٥ قروش « إذن بريد » باسم المؤلف بمنزله رقم ٩ شارع البركة الناصرية — بوستة السيدة زينب : مصر

النسخ محدودة وثمن النسخة بعد انتهاء الطبع ٨ قروش فانتهز الفرصة

٨ ـ هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الالمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الحرب والمحاربون

لا نريد أن يراعينا خيرة أعدائنا ، كما لا نريد أيضاً أن يراعينا من يحبهم من صميم الفؤاد

دعونى أعلن لكم الحقيقة

إننى أحبكم من صميم الفؤاد ، أيها الرفاق فى المعارك ، فما أنا الآن إلا ، كما كنت فى الأمس ، جندى مثلكم ، فأنا إذن من خيار أعدائكم . دعونى أعلن الحقيقة لكم

إننى عارف ما فى قلوبكم من حقد وحسد ، فأنتم من العظمة بحيث لا يمكنكم أن تتجاهلوا الحقد والحسد ؛ فلتكن عظمتكم رادعة لكم عن الخجل بما فى قلوبكم . واذا امتنع عليكم أن تكونوا أولياء فى معرفة الحق فكونوا على الأقل جنوداً يكافحون من أجل هذه المعرفة ؛ وما المكافحون الا طليعة الأولياء

لقد كثر عدد الجنود فليتنى أرى مثل هذا العدد من المحاربين ، وعسى ألا تكون سرائرهم على طراز واحد كالألبسة التى يرتدونها

لتكن أنظاركم منطلقة تفتش على عدو لكم ، وقد لاحت فى لمعانها بوادر البغضاء . عليكم أن تجدوا العدو لتصلوا معه حرباً تناضلون فيها من أجل أفكاركم ، حتى اذا سقطت هذه الأفكار فى المعترك ، ينتصب اخلاصكم هاتفا بالظفر

أحبوا السلام كوسيلة لتجديد الحروب ، وخير السلام ما قصرت مدته . إننى لا أشير عليكم بالعمل ، بل أشير بالكفاح ؛ لا أشير عليكم بالسلم ، بل بالظفر . فليكن عملكم كفاحاً وليكن سلمكم ظفراً

لا اطمئنان فى الراحة إذا لم تكن السهام مسددة على أقوامها . وما راحة الأعزل إلا مدعاة للثرثرة والجدال . فليكن سلمكم ظفراً . . .

تقولون إن الغاية المثلى تبرر الحرب ؛ أما أنا فأقول لكم إن الحرب المثلى تبرر كل غاية ، فقد أتت الحروب والأقدام بعظائم لم تأت بمثلها محبة الناس ؛ وما أنقذ الضحايا حتى الآن إلا إقدامكم لا إشفاقكم

إنكم تتساءلون عن الخير ، وما الخير إلا الاتصاف بالشجاعة ، فدعوا صغيرات الأطفال يقلن : (إن الخير فى اللطف والجمال)

يقولون أن لا قلوب لكم ، ذلك لأن قلوبكم تنبض بالاخلاص ، وأنا أحب تواضعكم فى إخلاصكم . إنكم تستحون لأن أمواجكم تندفع فى مدها ، وسواكم يخجل من تراجعها فى جزرها

إن قبحكم مريع ، فتدثروا به أيها الأخوة ، لأن فى دثار القبح ما ليس فى سواه من الروعة والبهاء

ان النفس لتقف صاخبة عند ما تعتلى ، والقسوة كامنة فى اعتلائكم ، فما خفيت حالكم عنى . ففى ميدان القسوة يلتقى الشديد العزم بمنهوك القوى فلا يمكنهما أن يتفاهما — إننى أعرف من أنتم

إذا ظفرتم بعدو فصبوا عليه بغضكم ؛ وحاذروا أن تصبوا عليه احتقاركم ، فما عدوكم الا مدعاة مباهاتكم ، فاذا عملتم بوصيتى يصبح انتصاره انتصاراً لكم أيضاً

إن الثورة مفخرة للعبيد ، فليكن افتخاركم أنتم قائما على طاعتكم . وليكن أمر الآمر فيكم جزءا من هذه الطاعة نفسها . إن المحارب الصادق يفضل ما يجب عليه على ما يريده . فعليكم أن توجهوا ما تؤمرون به الى هدف رغباتكم . وليكن حبكم للحياة تعبيراً عن أسمى أمانيكم ؛ ولتكن هذه الأمانى عبارة عن أرفع فكرة فى الحياة . وما أرفع فكرة لكم ، وأنا أستميحكم إبداءها لكم كأمر ، إلا هذه القاعدة : (ما الانسان إلا كائن يجب أن نتفوق عليه)

على هذه الوجه تمر حياتكم بالطاعة والجهاد ، فما يهمكم أطالت الحياة أم قصرت . فليس من محارب يطلب أن يُعامل بالمراعاة

لقد قلت لكم الحق بلا محاباة لأننى أحبكم من صميم الفؤاد ، أيها الأخوة فى السلاح

هكذا تكلم زارا . . .

الصنم الجديد

لم يزل فى بعض الأماكن من الأرض شعوب وجماعات ، أما نحن فليس عندنا سوى حكومات ، وما أدراكم ما هى الحكومات

أعيروني أسماعكم لأخاطبكم عن موت الشعوب : — ليست الحكومة إلا أبرد مسخ بين المسوخ الباردة ، فهي تكذب بكل رصانة إذ تقول : « أنا الحكومة ، أنا الشعب »

إياكم وتصديق ما تقول ؛ فما كون الشعوب إلا المبدعون الذين نشروا الأعان والمحبة ؛ فأتوا بأجل خدمة للحياة . وما الناصبون الأشراك للجموع الغفيرة إلا من يهدمون كيانها ليشيدوا الحكومات على أنقاضها ، ويلقوا نصلاً قاطعاً فوق رأس الشعب ، وينصبوا مئات الشهوات أمام عينه

إن الشعب ، حيث بقي له مرتع على الأرض ، لا يفهم ما هي الحكومة ، بل هو ينفر منها كما ينفر من العين الساحرة ، ويراها شذوذاً هادماً للشرائع والتقاليد . وإليكم هذا الدليل : إن لكل شعب بيانه عن الخير والشر ؛ وجيرة هذا الشعب لا تفهم هذا البيان الذي أوجده لنفسه محدداً به شرائعه وتقاليده ، على حين أن الحكومة تكذب في جميع تعابيرها عن الخير والشر ، فليس ما تقوله إلا كذباً ، وليس ما تملكه إلا نتاج سرقتها واختلاسها

إن كل ما للحكومة مزيف ، فهي تنهش بأسنان مستعارة ، وأحشاؤها مختلقة اختلاقاً ؛ وما شعارها إلاّ « البيان المبهم المشوّش عن الخير والشرّ » فهي تتجه به نحو الفناء ، وتقوم بنشره بدعوة صريحة للمنذرين بالموت

إنّ عدد من يدخلون الدنيا قد تجاوز الحد ، وما أوجدت الحكومة إلاّ لخدمة الفضوليين الدخلاء على الحياة . انظروا إلى هذه الحكومة كيف تجتذب إليها الدخلاء فتضمهم إلى صدرها وتشبعهم عناقاً وتقبيلاً . اسمعوها تهدر قائلة :

— ليس أعظم مني على وجه الغبراء ، فأنا يد الألوهية المنظمة

وعندما تهتف هذا الهتاف ، تتهاوى الركاب جاثية ، وبين الراكعين كثير من غير طوال الآذان وقصار النظر

إن هذه الأكاذيب تجد مصدقين لها وأسفاه حتى بينكم أنتم ، يا من تجول فيكم النفوس الأبية ، لأن الحكومة تعرف أن تدغدغ قلوبكم الطافحة بالمكارم ، الطامحة إلى الجود ، إنها التخترق سرائركم ، أنتم أيضاً ، يا من تغلبتم على الألوهية القديمة ، فهي تعرف أنكم تعبتم من الكفاح فتستخدم ملالكم لعبادة الصنم الجديد

إنه لصنم يتمنى أن يحيط به الأبطال وفضلاء الرجال ؛ إنه لمسخ بارد يريد أن يدفأ بشمس الضمائر المشعة المشرقة

إنه ليمنحكم كل شيء إذا أنتم سجدتم له . فهذا الصنم الجديد يشتري لمعان فضائلكم وما في لفتاتكم من عزة وكرامة . إنه في حاجة اليكم ليجتذب إليه المدد الفائض من الدخلاء على الحياة ، فهنالك البرج الجهنمي ، وهنالك جياد الموت تقرقع بسُدَدِها حاملة شارات المراتب والامجاد ؛ أجل ذلك هو اختراع الموت أتى به للجموع ليحصدها حصداً وهو يباهي بأنه هو الحياة ، والمنذرون بالموت يرون بفعلته خير خدمة لمبادئهم

حيث يكرع الجميع السموم ويضيع كل إنسان نفسه صالحاً كان أو طالحاً ، فهنالك تقوم الحكومة لأنها تسود كل مكان يوصف فيه الانتحار البطيء بالحياة

انظروا إلى هؤلاء الدخلاء . إنهم يختلسون ثمرة جهود المخترعين وكنوز الحكماء ويدعون هذا الاختلاس تمدناً ؛ غير أن كل شيء يصبح أدواء ومصائب تحت سلطانهم . أنظروا إلى هولاء الدخلاء وليس فيهم إلا الأعلاء ينفثون غسلين مرائرهم ، ويتحلون صفة الصحافيين . . . إنهم يتناهشون ويلتهم بعضهم البعض الآخر وليس لهم القوة على هضم ما يلتهمون

انظروا إلى هؤلاء الدخلاء ، إنهم يحشدون الأموال ، وكلما ازدادت ذخائرهم زاد فقرهم ، فانهم يطمحون إلى الاستيلاء على القوة فيبدأون بالقبض على محركها الأول : على الأموال الطائلة ، وما هم إلا الدخلاء العاجزون

أنظروا إليهم ! أنظروا إلى هؤلاء القرود يتسلّق بعضهم البعض الآخر فيتدافعون متمرغين في الأوحال على الشفير . إن كلا منهم يطمح إلى التقرب من العرش ، وقد عراهم جنون التوصل إليه ، فكأن لا سعادة إلا على مقربة منه ، وقد يرتفع رشاش الأوحال إلى العرش كما ينزلق العرش نفسه إلى الأوحال[1]

إنني أراهم وقد جُنّ جنونهم ، قروداً لا تسكن لهم حركة وهم يتسلقون قاعدة صنمهم البارد وقد انبعثت منه ومنهم أكره الروائح وأخبثها

(يتبع) فيلكس فارس

(١) لا يغرب عن القارئ الكريم أن نيتشه يعالج في هذا الفصل القضية الكبرى في مدنية الغرب ، وقد نشأت من استخدام أصحاب الأموال لنتاج عقرية المخترعين وجهود المكتشفين في سبيل حشد الثروات الطائلة والتسلط بها على الحكومات ، وقد أصبحت مدنية الغرب من هذا الوضع الشاذ في حلقة مفرغة تبتدئ حيث تنتهي بين ملوك الحكومات وملوك المال ، وليس ، والحمد لله في الشرق أمثال لهؤلاء الملوك

١٠ ـ تاريخ العرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون

ترجمة مسهم محمد مبشى

الفصـــل الثانى

وخلف النعمان ولده المنذر وكان أميراً عاقلاً شجاعاً . ويستدل على سطوة اللخميين إذ ذاك من الحادثة التى حدثت عقب موت يزدجرد الأول ، ذلك أن المنـذر تدخّل فى النزاع القائم حول انتخاب خليفته ، وأيد اختيار بهرام جور[1] الذى عارض توليته رجال الدين فى فارس . وفى الحرب التى اندلع لهيبها بعـد قليل بين الفرس والروم يرهن المنـذر على أنه تابع مخلص ، ولـكن الروم كبّدوه خسائر فادحـة عام ٤٢١ م . وفى أوائل القرن السادس الميلادى اعتلى العرش أمير يسمى المنذر الثالث الذى دعاه العرب ابن ماء السماء[2] ، وطالت مدّة حكمه وازدهرت ، وإن كانت قد تلبدت سماؤها بغيوم حادثة يستحيل فهمها دون الرجوع إلى التاريخ العام لهذه الفترة ؛ ذلك أنه حوالى ٤٨٠ م امتـد نفوذ قبيلته كندة التى يظهر أن أمراءها كانوا خاضعين لتبابعـة اليمن خضوع اللخميين لملوك فارس ، وشمل نفوذها جزءاً كبيراً من وسـط بلاد العرب وشمالها . وكان اليد العاملة فى بسط هذا النفوذ حجر (آكل المرار) أحد أجداد امرىء القيس ، ولـكن مالبث أن تفكك هذا عنـد مامات حجر ، ولـكن عاد الشمل فالتم مرّة ثانية لمدة وجيزة حوالى سنة ٥٠٠ م على يد حفيده الحارث بن عمرو ، وصار منافساً خطيراً لامارتى الحيرة وغسان ؛ على حين كانت تعاليم مزدك الاشـتراكية قد اتسع نطاق دعوتها وتغلغلت بين العامة فى فارس حتى انتهى الأمر بأن اعتنقها الملك قباذ[3] نفسه . ومن المؤكد أنه قد حدث بين

(١) شكى عظماء من أن بهرام جور لم يتأدب تأدب العجم ، وإنما أدبه أدب العرب وخلقه تخلقهم لنشأته بين أظهرهم ، واجتمعت كلتهم وكلمة العامة على صرف الملك عن بهرام (الطبرى ج ١ ص ٨٥٨ س ٧ — ٩)

(٢) وقيـل إن ابن ماء السماء كنية له عن أمه التى كانت تدعى مارية أو ماوية

(٣) للاطلاع على مزدك وتعاليمه يمكن القارئ مراجعة ما ترجمه نلدكه عن الطبرى ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٤ ، ٤٥٥ — ٤٦٧ وما كتبه الأستاذ براون فى كتابه Lit Hist of Persia ج ١ ص ١٦٨ — ١٧٢

عامى ٥٠٥ ، ٥٢٩ م أن اجتاح الحارث بن عمرو الكندى العراق وأقصى المنذر عن مملكته . وليس من البعيد أن يكون سقوط الأخير — كما يؤكد كثير من المؤرخين — راجعاً إلى عدائه للتعليم المزدكية التى أثارت سخط مولاه . وعلى كل حال — وأيّاً كانت الأسباب — فان الحارث قد أقصى المنذر وقتاما ؛ وبالرغم من أنه قد عاد إلى عرشه بعد فترة قصيرة قبل تولية أنوشروان الذى قتل كثيرين من أتباع مزدك (٥٢٨ م) فان النسيان لم يسحب ذيوله على ما لحقه من إهانة وقسوة[1] ، وإن حياة امرىء القيس وقصائده لتحمل طابع الكراهية الموروثة التى تأصلت جذورها بين لخم وكندة . ولقد أدّت أعمال المنذر ضد الروم إلى نشاط كبير ، فقد دخل سورية ووصل الى إنطاكية ، ورأى جستنيان نفسه مضطراً لأن يكل أمر الدفاع والذب عن هذه الأقاليم الى الحارث بن جبلة الغسّانى (الحارث الأعرج) الذى وجد فيـه المنذر قوّة تفوق قوّته . ومنذ ذلك الحين أخذ كلٌّ من ملوك الحيرة وغسان فى الاغارة على أقليم الآخر وتخريبه ؛ وفى إحدى هـذه الغزوات أسر المنذرُ ابنَ الحارث ، وسرعان ما ضحّى به لأفروديت الآلهة العربية العزى[2] . ولما استرد الأقليم ثانية سنة ٥٥٤ م فوجئ فى معمعان القتال وذبح فى موقعة تدعى « يوم حليمة » . ومجمل القول أن اللخميين كانوا وثنيين ليس لهم حظ من الرقى والحضارة ، تلك التى يستحقها تماماً المنذر الثالث . وقد روى الأغانى أنه كان له ندمان من بنى أسدهما خالد بن المضلّل وعمرو بن مسعود ، فأغضباه فى بعض النطق ، فأمر بحفر حفرتين وأن يجعلا فى تابوتين ويدفنا فيهما ففعلوا ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما فندم على ذلك واغتم ؛ ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما فأمر ببناء الغريّين عليهما فبنيا وجعل لنفسه يومين فى السنة يجلس فيهما عندهما يسمى أحدهما يوم نعيم يعطى فيه أول طالع عليه مائة من الابل سوداً ، والآخر يوم بؤس يعطى فيـه أول طالع عليه رأس ظربان أسود ، ثم يأمر به فيـذبح ويطلى بدمه

(١) ذبح المنـذر أربعين أو خمسين فرداً من عائلة كندة المالكة الذين وقعوا أسرى فى يده ، ولقـد كان الحارث أحد من قتلهم المنذر بيده عام ٥٢٩ م ومنذ ذلك الحين أخذ شأن كندة فى الضعف ، وأخذت ترتد بالتدريج إلى مواطنها الأولى فى حضرموت

(٢) وفى مرة أخرى ضحى بأربعمائة راهبة مسيحية لهذه المعبودة

الغريان ، ويقال إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف عليه يوم بؤسه فقتله[1] ؛ وظل على هذا الحال حتى مرّ به رجل من طى يقال له حنظلة ، فلما رأى نفسه مقتولاً قال له : « أجلنى سنة أرجع فيها إلى أهلى ، ثم أصير إليك فأنفذ فى حكمك » فقال : « من يكفلك حتى تعود ؟ » فنظر فى وجوه جلسائه فعرف فيهم شريك[2] بن عمرو الذى قام وقال للملك : « أبيت اللعن يدى بيده ودمى بدمه إن لم يعد إلى أجله[3] » فلما كان العام القابل جلس فى مجلسه ينتظر حنظلة أن يأتيه فأبطأ عليه ، فأمر الملك بشريك ليقتله ، فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم فتأملوه فاذا هو حنظلة متكفئا متحنطا معه نادبته تندبه ، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما فأطلقهما وأبطل تلك السنة[4]

* * *

وقد خلفه على العرش ابنه عمرو الذى يعرفه شعراء العربية المعاصرون والمؤرخون المحدثون باسم عمرو بن هند ؛ وفى عهده أصبحت الحيرة مركزاً أدبياً زاهراً ، وقد وفد على بابه كثيرون من شعراء عصره ، وسترى فى الفصل التالى علاقاته مع طرفة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة . ولقد كان عمرو هذا رجلاً شرس الطباع مستبداً طاغية ضاق العرب به ذرعا كما نرى ذلك من قول الدهان العجلى[5] :

أبا القلبُ أن يهوى السدير وأهله
وإن قيل عيشٌ بالسدير غريرُ
فا أنذروا الحىّ الذى نزلوا به وإلى لِمَنْ لم يأته لنذيرُ
به البقّ والحمّى وأسْد خفيّة وعمرو بن هند يعتدى ويجور

ولقى عمرو مصرعه على يد كبير التغالبة عمرو بن كلثوم ، ثأرا لكرامة أمه ليلى التى خدشت عنده

وتكتفى بالاشارة إلى اسمى قابوس والمنذر الرابع ابنى هند اللذين ولى كل منهما العرش فترة قصيرة ، ونكون بذلك قد وصلنا إلى آخر ملك لخمى للحيرة ألا وهو النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ويكنى بأبى قابوس وقد حكم من سنة ٥٨٥ إلى ٦٠٧ م ، كما نشأ فى أحضان أسرة مسيحية شريفة فى الحيرة قامت بتربيته وتعليمه ، وكان كبيرها زيد بن حماد أبا الشاعر عدى ابن زيد ، وعدى هذا ذو شخصية جذابة كما كانت وقائعه قوية الصلة بحوادث النعمان ؛ وكان كل من جدّه وأبيه ذا ثقافة ليست بالقليلة ، وشغلا مراكز سامية أيام المنذر الثالث وخلفائه ، وقد استطاع زيد بواسطة دهقان يدعى « فاروخ ماهان » من اجتذاب عطف كسرى أنوشروان[1] بأن صار كاتب ديوانه ، وذلك منصب لا يرقاه إلا أبناء الأشراف . وحينما اشتد ساعد عدى أرسله أبوه ليتلقى المعارف مع ابن الدهقان فأجاد الفارسية كتابة وقراءة ، كما أتقن العربية اتقاناً تاماً ، وقرض الشعر ، وتعلم ركوب الخيل ، ولعب الكرة ، كما أن جماله الشخصى وذكاءه وذلاقة لسانه وحضور بديهته كل أولئك حبّبهُ إلى أنوشروان فقرّبه إليه واتخذه كاتباً له ومترجماً فى ديوانه ؛ ولم يكن قد كتب بالعربية قط من قبل فى الديوان الملكى ، وحباه الملك عطفه ، وبعث به إلى القسطنطينية فى سفارة خاصة حيث استقبل أجل استقبال ؛ وعند أوبته أوحى القيصر[2] — جريا على سنة متبعة — إلى جميع الموظفين القائمين بحراسة الطريق بمدّ الخيل فى محطات البريد مما يلزمها حتى يرى المبعوث الفارس عظمة واتساع الامبراطورية البيزنطية

(يتبع) محمد عبتى

(١) راجع قصة هلاكه فى الأغانى ج ١٩ ص ٨٦ — ٨٧

(٢) وقد ذكر له الأغانى (ج ١٩ ص٨٧ س ١٨) شعراً مطلعه :
يا شريك بن عمرو ما من الموت محاله

(٣) الأغانى ج ١٩ ص ٨٦ طبعة بولاق

(٤) كانت هند أميرة كندية ، وهى ابنة الحارث بن عمرو الذى أسره المنذر فى إحدى غاراته ، وكانت نصرانية وأقامت ديراً فى الحيرة « راجع ترجمة ذلك فى الطبرى ص ١٧٢ هامش رقم ١ »

(٥) الأغانى ج ٢١ ص ٩٤ س ١٦ — ١٨

(١) تولى زيد الحيرة نيابة عن الملك بعد موت قابوس ومهد الطريق للمنذر الرابع الذى أسرف فى الطغيان حتى كرهه الشعب ومقته « راجع ترجمة ذلك فى الطبرى ص ٣٤٦ هامش رقم ١ »

(٢) يطلق العرب على الامبراطور البيزنطى لقب قيصر ، والملك الفارسى لقب كسرى

مرض البول السكرى

نصيحة من مريض (لله تعالى) إلى المرضى

مرضت بالبول السكرى وبالتجائى الى كل الطرق لم أستفد سوى استفادة مؤقتة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقنى الله تعالى إلى بعض أنواع بذور للنباتات لم أجدها الا بمحل عطارة محمد طاهر الصاوى بوكالة أبو زيد بالحمزاوى بمصر نمرة ٥٢٥٢٠ ولم يكلفنى تمنها سوى مبلغ عشرة قروش صاغ . وباستعمالها مدة أربعة أسابيع كانت النتيجة مرضية جدًا ... فقد ظهر من نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد أن كان بنسبة ٥٥ فى الألف .

لذلك أحببت على نفسى عمدًا أن أنصح بها المرضى وأعتقد أن المحل المذكور لا يتأخر عن إرسالها لكل مريض ضمنة للانسانية متى أرسل إليه قيمة الثمن المذكور

أحمد كشك م.

من ديوان البغضاء :

ألســـت التى . . . ؟؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

بَلَى ! كنتِ فى قلبى سِرَاجاً يضيئه
فيفترُّ عن أنوارِه كلُّ جانبِ
وكنتِ حياة للحياةِ تمدُّها بأفراحها فى عابسات المصائب
وكنتِ لىَ البرَّ الوَديعَ إذا غلت بأمواجها وادَّافعت بالمناكب
وكنتِ نسيا واللَّظى ينشِفُ اللَّظى
ويترُكُ ظِلَ النَّوْح ظلَّ اللَّواهب
وكنتِ ملاذى والشؤون كأنَّها من الدَّمع ينبوعٌ يجيش بغارب
وكنتِ إذا ما العينُ مدَّت هيامها إليكِ تلقَّتها أحنَّ الترائب
وكنتِ كأنفاسِ الرياضِ ، عبيرُها
على الفاقدِ المحزون فَرْحة آيب
بَلَى ! كنتِ . . . كنت السحرَ تبدو صدورُه
من الخير تخفى منه شرَّ العواقب
أرى الحيَّة الرقطاء أجملَ منظراً وألينَ مسًّا من ندِىِّ الكواعب
إذا ما تراءتْهَا العيونُ بريئةً من الخوف خالَتْها دُعابةَ لاعب
تدانَى إلى اللاهى دنُوَّ مُقارِبٍ فيدنو ويُدْنِى كفَّه كالمُداعب
ألا ارْفَعْ يداً ، واذهب بنفسك رهبةً
فمنْ حُسْنِها نابٌ شـــديد للعَاطب
بَلَى ! كنتِ . . . إذْ عينى عليها غِشاوةٌ
وإذْ أتردَّى من سوادِ الغياهب
وأخرى على عينِ البصيرة خيَّلت
لنفسى هداها بالأمانى الكواذب
أرى من تكاذيب الخيالِ كأنَّنى إلى جنة الفردوس أحدو ركائبى
أغنى لآمالى لأبلغ غايتى وأدرك لذَّاتى ، وأجنى مطالبى
وما ذاكِ إلاَّ راحةُ القلب بالهوى وبالوُدِّ فى عيشٍ شديد المتاعب
وأنْ أَرِدَ الماء الزلالَ . . . ولم أَرِدْ
وقد عشتُ دهراً — غيرَ رَنْق المشارب

ألا فاعلمى أنى ظَمِئْت ، وأنَّنى تجنبت جُهدِى الماءَ جمَّ الشوائب
فجئتُـــك ظمآناً يموتُ بغُـــلَّةٍ
فأغريت بى الغِيلاتِ من كل جانب
لقد كنتُ خِلواً أنتحى حيث أشتهى
وأرْضَى وآبى مُقدِماً غير هائبِ
تسهِّلُ لى الصعب الأبى عزيمتى ويكفُلُ لى صدق قضاء مآربى
وأرمى بنفسى فى المهالك باسماً لأنفُذَ منها باسماً غيرَ خائب
فراحزنا . . . ! أضْلت عزمى وهمّتى
وأيتَمت أفكارى وَضيعت وَاجبى
تخشَّعت تحت الحُبِّ وَالوجد وَالجوى
وَطول اضطرابى فى الهموم الغوالب
أذَلَّ شبابى الحبُّ حتى رأيتُنى أسيرُ بأترابى مرور الجَانِبِ
وَأحسدُهُمْ مِمَّا لقيت . . . وَإنَّنى لأخشى عليهم، مِحْنتى وَتجاربى
ألا وَيحها ! ! كم بت أرقُبُ طيفها !
وَكم سهرت عينى نجىَّ الكواكب !
وَكم طُفت بالبيداء أطلب خلوة !
وَأُرسل طَرْفى فى ضلال المذاهب !
أُمثِّلها حتى أكادَ أمسها ! وَألقى إليها ما تضمُّ جوانبى !
وَأشتاقُها وَالبحر بينى وَبينها وَبيدٌ تعاوت بالرِّياخ الغواضب!
فلما التقينا ضمّنا الشوق وَالهوى
وَكان حديث الوصل صمت الرغائب
وَلكن . . . رمت بينى وَبينك بعدهُ
ضريبة أُنثى . . . وَهى شرُّ الضرائب
فأطلقت فى إثرى الضوارى مُجِدة تعان على أنيابها بالمخالب
تمزّقُنى ألحاظها وَعيونُها كأنى أُرمى بالسهام الصوائب
يفزِّعُنى ظِلِّى إذا ما لمحتُه وَقد غالنى رُعبى وَشُدَّت مهاربى
فما كدْت أنجو بالحشاشة بعدما تلقيت من حُبيك شرَّ النوائب
ألا لاَ تقولى كيف كنت !!.. فإننى
أرى كلَّ أنثى شرُّها غيرُ غائب

[البقيـــة فى ذيل الصفحة التالية]

الفنون

فرانسسكو جويا

GOYA

للدكتور أحمد موسى

يعد جويا من أغرب شخصيات القرن التاسع عشر وأبعدها أثراً فى الفن . ظل يصور حتى تجاوز الثمانين من عمره ، وقضى حياة حافلة بمختلف الحوادث والعبر ، وبوفاته انتهى دور من أهم أدوار الفن الأسبانى

ولد فرانسسكو جويا فى ٣٠ مارس سنة ١٧٤٦ فى فونديتورس إحدى القرى الصغيرة فى مديرية أراجون لوالدين فقيرين اشتغلا بالفلاحة فى قطعة صغيرة من الأرض كانت مصدر حياتهم ؛ فكانت طفولته مليئة بالعمل والتعب والملل .

وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره رسم شكلا تخطيطياً لخنزير على حائط مسكنه الريفى ، وشاهد أحد الرهبان هذا الرسم مصادفة فوجد فيه ما يدل على استعداد راسمه ؛ فتقدم إلى والده ناصحاً بأن يذهب بابنه إلى فنان يقيم فى سرقوسه وهى أقرب البلدان إلى قريتهم

كان أول معلميه چوزى لوزان مارتنز ، فعرف منه كيفية تحضير الألوان وشد قماش اللوحات فى الأطار ، وما إلى ذلك من وسائل العمل نظير خدمته لمعلمه

وفى مدة وجيزة استطاع جويا أن يفهم الأسرار العملية لمهنته التى ولد لها ، وأمكنه أن يصور بعض تفاصيل مهمة على لوحات معلمه ، ولم تنقض ثلاث سنوات حتى رخّص له مارتنز برسم لوحات بأجمعها

جمع جويا بين ظاهرة العبقرية الفنية وبين قوة العضلات ؛ فكان يمضى أوقات فراغه فى الرياضة البدنية والمصارعة والجرى وحمل الأثقال

وكان محبوبا من بنات البلدة اللواتى كن يحضرن لمشاهدة مصارعته مع أمثاله الذين تغلب عليهم دائماً . وكان كثير التردد على القهوات والحانات فكان روادها يحشون بأسه .

بدأ جويا حياته الفنية بتصوير المذراء ، فأخرجها إخراجا أنيقاً فى ثوب رقيق وقوام رشيق . ومع هذا السمو كنت تراه أحياناً يغنى أغانى شعبية عامية لا تنسجم مطلقاً مع مصوراته فى ذلك الحين ، كما كان عصبى المزاج سريع الغضب سريع البطش

عاد فى آخر الليل مرة مع أصدقاء له إلى المدينة فصادفه فى حارة قذرة من حاراتها نفر من قطاع الطرق الذين أرادوا به وبأصدقائه شراً ، ولكن جويا بمساعدة رفاقه استطاع مطاردتهم وقتل ثلاثة منهم

ولم يدرك الفرصه تسنح للقبض عليه ففر هارباً إلى مدريد . ظهر فى العاصمة كفنان بسيط ، ولم ير سبيلاً إلى العيش لأنه

ترومينَ منى الوُدَّ بُقيا عَلَى الذى
مضى..! اخاب فألى أن أرى غير ثائب
ترومين منّى الودّ ! . . تلك عجيبة
وَأسعى لذبحى ! تلك أمُّ العجائب
تشهّيت لحماً . . افَاتَ ماتشتهينه فلم يبق من لحمى طعامٌ لساغب
تملّيت هذا البغض حتى رأيتُنى أرب بحيَاتى وَأغدو عقاربى
فإن يك بُغضى كلّ ذنب جنيته إليك . . ! فانى لست منه بتائب
وَكيف ! . . وَقد أنهكتنى وَعرقتنى
وَقدت عَلَى قلبى جيوش النوائب !
ذرينى . . . وَلكن الحياة مليئة
بكم . . . فما فى الأرض منجى لهارب

محمود محمد شاكر

لم يكن يعرف أحداً فيها . كان دائب البحث عن أى عمل ولكنه كان يعود مساء كل يوم كسير القلب إلى الملجأ الذى أقام فيه

وفى صباح يوم وجد المسكين فى إحدى الأزقة الضيقة وقد اعتدى عليه بالسكاكين فأخذه أولئك الذين كان يقيم معهم وعنوا به حتى شفى من جراحه

علم البوليس بأنه من العاطلين المدمنين على شرب الخمر فطارده إلى خارج العاصمة ، فذهب إلى حلبة مصارعة الثيران واستطاع أن يجد عملاً حقيراً نظير أجر بسيط ادخر معظمه حتى تمكن به من الوصول إلى إحدى موانى أسبانيا الجنوبية حيث أبحر إلى شاطىء إيطاليا الغربى . وصل إلى روما وهناك أمكنه العمل عند فنان شعبى راجت حاله

وعند هذا الفنان تعرف إلى أناس لا يميلون بطبعهم إلى العلم ولا إلى التعليم وإنما هم من أولئك الذين تجتذبهم حياة الشوارع وما فيها من وسائل لقتل الوقت

ومال بطبيعته وبحسب استعداده وبعامل البيئة التى عاش فيها إلى تصوير مناظر الأزقة والحارات والقهوات على نقيض الفنانين الآخرين الذين كانوا كثيراً ما يتحاشون إظهار هـذه المواقف على لوحاتهم

وهذه نزعة لم يسبق أحد إليها خصوصاً وأنه أكثر من تصوير الوجوه الثائرة والمناظر الشاذة المتصلة بحياة الجمهور والغوغاء مباشرة ، حتى لترى هذه المسحة على معظم لوحاته التى تعد بحق خير مسجل لشخصية مصور من أنبغ فنانى القرن التاسع عشر

صعد يوماً إلى قبة كنيسة بطرس ليحفر الأحرف الأولى من إسمه ، ولا تزال محفورة إلى اليوم . وهكذا كانت إقامته فى روما غريبة الأطوار . وقد تعرف فيها بسفير روسيا الذى طلب إليه السفر إلى بطرسبرج ليكون مصوراً للقصر . وفى أثناء المفاوضة فى هذا الشأن قُبض عليه بتهمة تحريض أحدى الراهبات على عمل غير شريف . ولولا اتصاله الوثيق بسفير روسيا لما استطاع الأفلات من يد العدالة

كان جويا تعساً فى غربته ، وكان دائم الحنين إلى بلدته ، ورأى فى إقامته الطويلة بروما تكفيراً كافياً لسابق جرائمه ، فعاد إلى مدريد سنة ١٧٧٥ وتزوج من يوزيفينا بايو شقيقة الفنان فرانسكو بايو الذى كان مصوراً فى قصر مدريد والذى بوساطته استطاع جويا أن يقوم بعمل تصميمات لمناظر وزخارف الأقمشة التى كانت تُغطى بها حوائط القصر . وأول تصميم له نُسج على قماش لهذه الغاية سنة ١٧٧٦ ، واستمر حاله هكذا حتى سنة ١٧٩١ ، وتدرج فى التقرب من سادة القصر وتقدم فى فنه تقدماً عظيماً حتى أصبح أبرز فنانى عصره فى أسبانيا ، وعمل لوحات مثلث الحياة على الصورة التى تتلفت فى نفسه كما صور أكبر الشخصيات

كان جويا فناناً بكل معانى الكلمة ، كما كان بوهيميا فى علاقته الزوجية ، ولم يخل تاريخ حياته من فضائح أهمها اتصاله بأميرة إلبا التى عشقها عشقاً ملك عليه مشاعره فصورها على لوحات تجل عن الحصر فى مواقف مختلفة ، وكان يعيش فى جناح من قصرها . أما هى فكانت تتوجه من حين لآخر إلى زوجته وأولاده وتقدم اليهم العطايا والهدايا

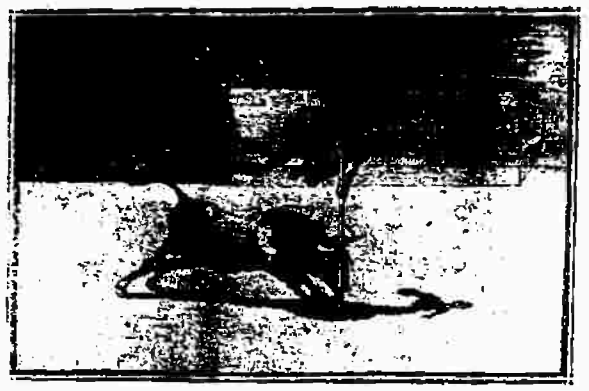

ولم تكن الملكة راضية عن هـذه العلاقة ؛ فعمدت ترتيباً

أخرجت به الأميرة من القصر إلى جهة نائية . سافر جويا بصحبة معشوقته فى عربة خاصة كُسرت عجلتها فى الطريق الوعر ، فقام بعمل الاصلاح اللازم كما لو كان حداداً ماهراً ، وأمكن السير بالعربة إلى أقرب قرية لتغيير العجلة . تعرض جويا بعد هذا المجهود للهواء البارد فأصيب بصمم فى احدى أذنيه لازمه حتى آخر حياته

مضت الأعوام وعادت الأميرة إلى مدريد وماتت بعد وصولها . وعاد هو لتصوير مناظر دلت على منتهى الحنق والحقد على النساء ، كما دلت على كثير مما خالج نفسه من البؤس والشقاء

زحف الفرنسيون على مدريد فقابلهم جويا بكل ترحيب وانضم إليهم بقلب مطمئن ، وبعد خروجهم منها وجهت إليه تهمة الانضمام للعدو ؛ إلاّ أنه تمتع بالعفو لكبر سنه

بدأ الهدوء يدب إلى نفسه ، واستمر يصور لوحاته ، وأكمل مجموعته بالقلم الرصاص حتى بلغ السابعة والسبعين ، ثم رحل إلى بوردو عملاً بمشورة طبيبه ، ولم يترك التصوير مع ضعف بصره ، بل كان يستعين بالمجهر . وآخر لوحة له صورها فى سن الحادية والثمانين ، ومات بعدئذ بسنة واحدة سنة ١٨٢٨

هذه هى ترجمة فنان لم يكن له نظير فى مجرى حياته ولا فى قوته الانشائية لمجموع لوحاته التى من أشهرها صورة (البقرة العمياء) تمثل مجموعة من بنات وشبان تتوسطهم بنت مغمضة العينين تبحث عمن يناديها (محفوظة بمدريد) ، وصورة (الفداء فى النيط) وفيها مثل الطبيعة تمثيلاً رائعاً (محفوظة بلندن) وصورة (النزهة فى الاندلس) وكانت مرسومة خصيصا للنسج (محفوظة بمدريد) وصورة الولد النطاط وهى من أدق الصور التى تدل على منتهى قوة الملاحظة والاخراج : وقفت اربع بنات يحملن ملاءة كبيرة وفوقها صبى واقف على ساق واحدة استعدادا للقفز إلى أعلى عندما يشددن الملاءة

وصورة (المشاجرة فى الملجأ) وهى من أحسن صوره ، تذكرنا بؤسه عندما كان بعيداً عن بيته يبحث عن عمل ولم يجد إلا ملجأ حقيراً يأوى اليه . والناظر فيها يأخذه العجب عندما يرى أنها تمثل حياة الملاجىء تمثيلا صادقا ؛ صور عليها بعض الحيوانات وبعض الأشجار وعربة قديمة فى ركن من اللوحة ؛ أما بوسطها فقد وقف المتشاجرون موقفا عنيفا لايستطيع غير جويا أن يخرجه فى هذه القوة

وله لوحة خالدة (محفوظة بمدريد) اسماها (الرعب بالرصاص) على يمينها وقف الجنود شاهرين بنادقهم ، وعلى اليسار اصطف المنبوذون مستسلمين للأعدام ، وقد أعطى الصورة ظلا ونورا قويين قلما تراهما لغيره من الفنانين

هذا غير لوحاته العظيمة للشخصيات البارزة فى عصره ، كصورة مارى لويس ، وصورة فرديناند السابع وصورة امير الكاديا وغير ذلك مما يجل عن الحصر

وله لوحات تعد من أغرب ما تركه فنان ، منها صورة (شجرة الربيع) ، وهى تمثل صبية التفوا حول رجل يحمل ساقا طويلة ثبت فى أعلاها شجرة صغيرة وولدان صغيران يتسلقان الساق

أما لوحته (بالقلم الرصاص) الممثلة لحلبة مصارعة الثيران فهذه تعد فى مجموعها من أعظم ما أخرجه ؛ فقدرته على تصوير الثور الثائر والمصارع الماهر لاسبيل إلى وصفها .

أحمد موسى

أعداد الرسالة الممتازة

إدارة نشر وترويج الصحف العربية بشارع محمد على بالقاهرة لصاحبها محمد مصطفى الفقيه تعلن جمهور (الرسالة) بأن لديها كمية محدودة من الأعداد الممتازة رقم ٤٢ و ٩٣ و ١٤٦ ، ترسل إلى من يطلبها بسعر ثلاثين مليما للعدد الواحد خالصاً أجرة البريد فى مصر والسودان وأربعين مليما فى البلاد الأخرى

أيها المرضى بالبول السكرى
لا يجب لكم أن تيأسوا من شفائكم أو تهملوه
قبل أن تجربوا الدواء الجديد
أنتيكومان !
قرنفل الدواء محضر بناءً على أحدث الأبحاث
العلمية الخاصة بهذا المرض .
اطلبوا البيانات اللازمة مجاناً من
جلاكسو هيلين . صندوق بوستة ٢١٠٥ مصر

البريد الأدبي

توحيد الثقافة العربية

بحث أساتذة كلية الآداب بالجامعة المصرية منذ أسابيع فى أمثل الطرق إلى توحيد الثقافة فى البلاد العربية ، ثم رأوا أن يذاكروا فى ذلك إخوانهم القائمين على أمور الثقافة فى لبنان وسورية وفلسطين ، فدعوهم إلى القاهرة فى عطلة عيد الفطر ، فلبى الدعوة بعض أساتذة الجامعة الأمريكية فى بيروت والأستاذ اسحق الحسينى عن فلسطين ، ولم يستطع الأساتذة الدمشقيون الحضور لأسباب طارئة ؛ ثم قضوا فى القاهرة أسبوعا حافلاً بالزيارات والمشاهدات على برنامج معين ؛ واجتمعوا مراراً فى دار « لجنة التأليف والترجمة والنشر » وتناقشوا فى موضوع الدعوة ومنهاجها ووسائلها ، فأسفرت المناقشة عن اتفاقهم على هذه الأسس الآتية :

١ — أن تؤلف جمعية لتوحيد الثقافة العربية وتركيزها وتقويتها تتكون من ٢٤ عضواً هم الداعون والمؤسسون

٢ — أن تسعى الجمعية فى أن تضم اليها أعضاء من البلدان العربية الأخرى ، وهى العراق وشرق الأردن وتونس والجزائر ومراكش

٣ — أن يراعى فى اختيار الأعضاء الجدد أن يمثلوا فروع الثقافة المختلفة

٤ — أن تؤلف لجان فنية لدرس النهضات الفكرية والبرامج التعليمية فى البلاد العربية لتوحد غاية التعليم وتقرب مناحى الفكر بقدر ما تسمح بذلك طبيعة الأقليم

٥ — أن تتلافى تعارض الجهود الأدبية ، فلا ينشر مثلاً كتاب قديم فى بلد يكون بلد آخر قد أخذ ينشره على صورة مرضية

٦ — أن تعمل الجمعية لأصدار مجلة خاصة بها يعالج فيها أعضاؤها الأغراض التى أنشئت لها

٧ — أن تعقد الجمعية مؤتمرات ثقافية فى العواصم العربية على التتابع يحضرها الأعضاء ومن يدعون من الأدباء والعلماء فيوثقون الروابط ويرصدون التطور ويوجهون الجهود إلى الغرض المشترك . وستنشر أسماء الأعضاء وتفاصيل المشروع فى فرصة أخرى

لجنة تفسير القرآن تحدد الغرض منه وتضع قواعد العمل

حددت اللجنة التى ألفت لتفسير القرآن الكريم تمهيداً لترجمة معانيه غرضها بأنه : « وضع تفسير يقصد به إلى فهم معانى القرآن الكريم كما يدل عليه نظمه العربى المبين ، ومعرفة ما فيه من أنواع الهداية ، ويكون فى متناول جمهرة المتعلمين فهمه والاهتداء به إلى معانى القرآن فى سهولة ويسر »

ولتحقيق ذلك تتبع القواعد الآتية فى التفسير :

١ — أن يكون التفسير خالياً ما أمكن من المصطلحات والمباحث العلمية إلا ما استدعاه فهم الآية

٢ — ألا يتعرض فيه للنظريات العلمية فلا يذكر مثلاً التفسير العلمى للرعد والبرق عند آية فيها رعد وبرق ، ولا رأى الفلكيين فى السماء والنجوم عند آية فيها سماء ونجوم ؛ إنما تفسر الآية بما يدل عليه اللفظ العربى ، وتوضح مواضع العبرة والهداية فيها

٣ — إذا مست الحاجة إلى التوسع فى تحقيق بعض المسائل وضعته اللجنة فى حاشية التفسير

٤ — ألا تخضع اللجنة إلا لما تدل عليه الآية الكريمة ، فلا تتقيد بمذهب معين من المذاهب الفقهية ، ولا مذهب معين من المذاهب الكلامية وغيرها ، ولا تتعسف فى تأويل آيات المعجزات وأمور الآخرة ونحو ذلك

٥ — أن يفسر القرآن بقراءة حفص ، ولا يتعرض لتفسير قراءات أخرى إلا عند الحاجة اليها

٦ — أن يجتنب التكلف فى ربط الآيات والسور بعضها ببعض

٧ — أن يذكر من أسباب النزول ما صح بعد البحث ، وأعان على فهم الآية

٨ — عند التفسير تذكر الآية كاملة أو الآيات إذا كانت كلها مرتبطة بموضوع واحد ثم تحرر معانى الآية أو الآيات مسلسلة فى عبارة واضحة قوية ، ويوضع سبب النزول والربط وما يؤخذ من الآيات فى الموضع المناسب

٩ — ألا يصار الى النسخ إلا عند تعذر الجمع بين الآيات

١٠ — يوضع فى أول كل سورة ما تصل إليه اللجنة من بحثها فى السورة ، أمكية هى أم مدنية ، وماذا فى السورة المكية من آيات مدنية والعكس

١١ — توضع للتفسير مقدمة فى التعريف بالقرآن وبيان مسلكه فى كل فن من فنونه كالدعوة إلى الله وكالتشريع والقصص والجدل ونحو ذلك ، كما يذكر فيها منهج اللجنة فى تفسيرها

طريقة التفسير

١ — تبحث أسباب النزول والتفسير بالمأثور ، فتفحص مروياتها وتنقد ، ويفرد الصحيح منها بالتدوين ، مع بيان وجه قوة القوى وضعف الضعيف من ذلك

٢ — تبحث مفردات القرآن بحثاً لغوياً ، وخصائص التراكيب القرآنية بحثاً بلاغياً وتدون

٣ — تبحث آراء المفسرين بالرأى والتفسير بالمأثور ، ويختار ما تفسر الآية به مع بيان وجه رد المردود وقبول المقبول ويفند ذلك كله

٤ — يصاغ التفسير المختار مستوفياً ما نص على استيفائه فى الفقرة الثانية من القواعد السابقة ؛ وتكون هذه الصياغة بأسلوب مناسب لأفهام جمهرة المتعلمين خال من الاغراب والصنعة

التوزيع

نظراً لظروف أعضاء اللجنة وتحقيقاً للتعاون رئى أن تقوم لهذه الأعمال الأربعة جماعتان فقط : أولاهما تقوم ببحث أسباب النزول والتفسير بالمأثور وبحث آراء المفسرين بالرأى وما يستنبط من الآية . الخ . وتتألف من فضيلة رئيس اللجنة وحضرات الأساتذة جاد المولى بك ، وأحمد أمين ، وأمين الخولى ، والشيخ على الزنكلونى ، والشيخ محمود شلتوت

وثانيتهما تقوم ببحث المفردات اللغوية والأوجه البلاغية كما تقوم بالصياغة الأخيرة للتفسير الذى يختار ؛ وتتألف هذه الجماعة من حضرات الأساتذة على الجارم بك ، ومصطفى عبد الرازق ، والشيخ ابراهيم حمروش

على أن تقدم الجماعة الثانية بحثها أولاً فى المفردات اللغوية والأوجه البلاغية للجماعة الأولى التى تتقاسم بينها أعمالها وتقدم تقاريرها ، وما يستقر عليه الرأى فى اختيار المعنى يعرض على اللجنة العامة مجتمعة فتنتهى فيه إلى قرار يقدم بعده الى الصياغة فتنجزها الجماعة الثانية وتعرضها على اللجنة العامة مجتمعة ليقر إقراراً نهائياً مع ملاحظة أن كل خطوة يتم بحثها يطبع ما تم فيها ويوزع على أعضاء اللجنة جميعها ليدرسوه قبل مناقشته فى اللجنة العامة

التفسير المختصر

تقرر كذلك أن تضع اللجنة بعد الفراغ من تفسير كل آية أو آيات موجزاً يختصر من التفسير الأول اختصاراً دقيقاً فى جلاء ووضوح يفرد وحده ويكتب فى كتاب خاص

وفاة شاعر تركيا الكبير محمد عاكف بك :

فى ٢٩ من ديسمبر الماضى استعز الله بالشاعر الكبير محمد عاكف بك أستاذ اللغتين التركية والفارسية فى كلية الآداب بالجامعة المصرية ، وكانت علته الفادحة قد اضطرته إلى اعتزال هذا المنصب فى يونيو سنة ١٩٣٦ والسفر إلى الآستانة حيث قضى نحبه بين قومه . كان الفقيد أستاذاً فى جامعات تركيا قبل الانقلاب ، وزاول الصحافة زهاء ثمانية عشر عاما أصدر فى خلالها مجلتى (صراط مستقيم) و (سبيل الرشاد) ؛ وكان إلى ذلك عضواً فى المجلس الوطنى أثناء حرب الأناضول

ولا تزال قصائده الوطنية وأناشيده الحماسية التى نظمها فى ذلك الحين تعلق بالقلوب وتجرى على الألسن . ومن روائعه الخالدة فى الأدب التركى قصيدة (جناق قلعة) التى وصف فيها موقعة الدردنيل وصفاً بليغ المرض شديد الروعة ؛ وقصيدته فى رحلته من نجد إلى المدينة ؛ ثم نشيده الوطنى الذى يردده ملايين

الأتراك . وقد اشتمل ديوانه على خمسة أجزاء نشرها جميعاً تحت عنوان (صفحات)

وفد إلى مصر منذ أربعة عشر عاما لازم فيها المغفور له الأمير محمد عباس حليم ؛ وقد نظم فى مصر والمصريين قصائد رائعة ، منها قصيدته (مع فرعون) . وعسى أن تتهيأ الفرصة لصديقه الحميم الوفى الدكتور عبد الوهاب عزام فيجلو لقراء « الرسالة » نواحى أدبه بعد مماته ، كما أمتعهم بروائع شعره فى حياته .

كتاب الأشباح :

صدر أخيراً فى انكلترا كتاب طريف مدهش معا عنوانه : «قصص حقيقية عن الأشباح» True gohost Stories بقلم المركيزة تونز هنـد أوف رينهام والسيدة مود فولكس ؛ وطرافة هـذا الكتاب فى أن هذه القصص التى يحتويها ليست قصصاً خيالية من مبتكرات مؤلفتها ، وإنما هى قصص حقيقية واقعية تؤيدها المركيزة تونز هند بكثير من الأدلة والشواهد ؛ وهى فى مجموعها تدور على العلاقة بين الأحياء والأموات ، وعلى الاتصال بأرواح الذاهبين ومثولها فى كثير من الأحيان . والمركيزة تونز هند مؤلفة هذه المجموعة هى من أشهر المشتغلات بمسائل الأرواح والغيب ، ولها فى ذلك تجارب شهيرة ؛ وهى تقيم منذ أعوام فى دار اشتهرت منذ بعيد بما يسكنها من الأشباح والأرواح ، وهى دار رينهام وتعرف فى مقاطعة نور فولك « بالبيت الأعظم » ؛ وقد كانت هذه الدار مسرحا لأكثر من مأساة دموية ، ولها شهرة مرعبة فى جميع الأنحاء المجاورة

وإذا كانت تلاوة قصص الأشباح المختلقة تثير الدهشة والجزع أحياناً ، فأن تلاوة هـذه القصص الحقيقية تثير الروعة والرعب فى الأذهان المؤمنة

وفاة الشاعر والفيلسوف الاسبانى أومانومو

من أنباء أسبانيا الأخيرة أن الفيلسوف الكاتب الشاعر الاسبانى الكبير ميجويل دل أومانومو مدير جامعة سلمنقه (سلامانكا) قد توفى فى الثانى من يناير . وكان مولده بثغر بلباو فى سنة ١٨٦٤ ؛ ودرس دراسة جامعية حسنة ، وعين أستاذا للغة اليونانية فى جامعة سلمنقة سنة ١٨٩١ ؛ واشتغل منذ حداثته بالشعر والأدب ، ودرس الفلسفة دراسة مستفيضة . وأخرج فى سنة ١٩٠٧ ديوانه ، « Poesies » فلقى تقديراً عظيما ، وتبوأ أومانومو مكانته فى الطليعة بين شعراء أسبانيا المعاصرين . وعالج أومانومو كتابة القصة أيضاً ؛ وأخرج منذ سنة ١٨٩٧ قصته الشهيرة : « السلام فى الحرب » وفيها يصف مسقط رأسه ، ومشاهد صباه ؛ ثم اتبعها بقصة عنوانها « من بلادى » ، ثم بقصة « المركيز دى لومبريا »

بيد أنه اشتهر على الأخص بمباحثه الفلسفية ، فأخرج فى سنة ١٩١٣ كتابه « الشعور المؤسى بالحياة » ؛ وفى سنة ١٩٢٥ أخرج كتابه الشهير : « احتضار النصرانية » ، وأخرج أيضاً عدة كتب أخرى فلسفية ولغوية

ومنذ سـنة ١٩١٤ يشغل أومانومو منصب مدير جامعة سلمنقه . وقد عزل عن كرسيه سنة ١٩٢٤ لمطاعنه اللاذعة فى نظام الطغيان العسكرى الذى أنشأه الجنرال دى ريفيرا ؛ ثم نفى مدى حين إلى جزر الكناري ، ثم رحل إلى فرنسا . وكتب فى منفاه عدة رسائل وكتباً شائقة منها : « كيف تكتب القصة » ، ومنها كتابه المؤثر : « رومانشيرو فى المنفى » ؛ ولما انهارت دعائم الطغيان فى أسبانيا عاد أومانومو إلى سلمنقه وأعيد إلى منصبه الجامعى

وقد كان أومانومو من أعظم الشخصيات الأدبية التى يظبعت الأدب الاسبانى المعاصر بطابعها العميق

تصويب

جاء فى الصفحة ٣٤ من العدد الماضى : « فى الجنوب تحت السماء الحارة » وصواب الترجمة : ساعة الزوال — تحت السماء الحارة

النقد

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الادباء
للدكتور عبد الوهاب عزام

أخي صاحب الرسالة :

أود أن تفسح لي قليلا في صفحات رسالتك فاني مضطر إلى التوسع قليلا في الكتابة . وسأضنّ كما ضننتُ من قبل بصفحات الرسالة القيّمة فأقتصر على سرد أغلاط المعجم سرداً واثقاً بفهم القارئ، مكتفياً باللمحة الدالة والاشارة الموحية ، ولو استوعبت الأغلاط وأسهبت في بيان الأدلة لكان لنا معجم آخر

أبدأ مقال اليوم بكلمة في نقد الأستاذ الفاضل محمود مصطفى وأخرى في نقد الأديب الكريم عبد العظيم قناوي وثالثة في مقالات الأستاذ عبد الخالق عمر

وأود أن يتنبه الكاتبون إلى أمرين ؛ الأول : أننا في شأن كتاب قديم يُنشر . فكل همّنا أن يكون الكتاب كما أراده مؤلّفه . فاذا أثبت الناشر أو المصحح كلمة تدل القرائن على أن المؤلف لم يكتبها فهي غلط على المؤلف ولو كان لها محمل في اللغة

والثاني : أن مقياسنا في النقد هو اللغة التي نتعلمها ونعلّمها ونكتب بها ، ونعرف أن المؤلف كتب بها ، فالأوجه الشاذة والمحامل الضعيفة ليس لها مساغ هنا

أقول بعدُ للأستاذ محمود مصطفى :

١ — جاء في مقدمة ياقوت : « إذ كل همه تحصيل المأكول والمشروب . » والقارئ بين أن يقرأ هَمَّه فيخرج الكلام على وجه قويّ ، وبين أن يقرأ « هَمَّه » فيحمل الكلام على وجه ضعيف ، لأن هَمَّ لازمة أصالة عرض لها التعدي توسّعا ، وأهمّ متعدية وضعاً ، وهي لغة القرآن وليس من حقنا أن نعدل عن الراجح إلى غيره دون ضرورة . على أن المصححين أنفسهم اعترفوا بأن عبارة المؤلف « هَمُّه » بالضم واستدركوها في آخر الجزء الرابع فلا موضع للجدال

٢ — وجاء في الكتاب : « ومعاوية بفارسٍ » فقلت إنها ممنوعة من الصرف . فنقل الأستاذ عن القاموس أن فارسَ الفرسُ أو بلادهم . وقال إن التذكير والتأنيث في أسماء القبائل والمواضع جائز فيجوز فيها الصرف والمنع . وأنا أقول : إن فارس في عبارة ياقوت ليست الفرس أو بلادهم ، ولكنها ولاية في الجنوب الشرقي من بلاد الفرس . فليرجع إلى الكتاب . وأما الصرف ومنعه بنية التذكير أو التأنيث فهو من سماحكات بعض النحويين . وقد جرت اللغة على تأنيث ألفاظ وتذكير أخرى ، وإجازة الوجهين في غيرها . فلا ينبغي أن ننوي التذكير في لفظ جرت اللغة على تأنيثه . فذلك ضرب من التأول لا حاجة إليه . وقد جرى العرب على تأنيث فارس . جاء في الحديث : « خدمتهم فارس والروم . » وشواهد هذا كثيرة . وهؤلاء مؤرخو المسلمين هل نجد من يقول « فُتِحَ فارسَ » أو هم جميعاً يقولون : فتحت بالتأنيث ؟ وما رأي الأستاذ في هذا النص : قال ياقوت نفسه في معجم البلدان : « قال أبو عليّ : فارس اسم البلد وليس باسم الرجل ؛ ولا ينصرف لأنه غلب عليه التأنيث ... وليس أصله بعربي بل هو فارسيّ معرب بارْس »

٣ — وأما ميسرة فقال الأستاذ فيها إنها مثلثة . ولا أظنه يجادل أن المختار فيها الفتح وبه جاء القرآن . فضَبْط كلمة مثلثة على غير الوجه المختار فيها غلط . وكان على المصحح أن يتركها لاختيار القارئ أو يعين الوجه المختار فيها . على أن المصحح اعترف في مقالة له بالقطم أن « ميسُرة » غلط مطبعي . فان أراد الأستاذ من بعدُ أن يجادل فيها فليجادل المصحح نفسه

٤ — جاء في ياقوت « لغوياً نابهاً ثَبَتاً » فقلت الصواب : « ثِبْتاً » بالسكون . والثِبْت بالفتح البرهان اسم لا وصف . فقال الأستاذ : إن القاموس أجاز فيها الفتح ، وظن أني وهمت

حين قرأت قول شارح القاموس : « وقيل للحجة ثبَت بفتحتين إذا كان عدلاً ضابطاً » فذهب بالى (كما يقول) إلى أن الحجة هنا الدليل والبرهان . أقول : هل يظن الأستاذ حقاً أنى إذا قرأت هذه العبارة والشارح يقول فيها : « إذا كان عدلاً ضابطاً » يذهب بالى إلى أن الحجة هنا البرهان ؟ ثم أقول له : لا ريب أن الوصف ثبْت بالسكون ، وأن الثَبَت مصدر . قال صاحب اللسان : « ورجل له ثبَت عند الحملة بالتحريك أى ثبات » . ويقال للبرهان ثبَت . قال فى اللسان : « لا أحكم بكذا إلا بثبَت أى بحجة . وفى حديث صوم يوم الشك : ثم جاء الثبَت أنه من رمضان . الثبَت بالتحريك الحجة والبينة » . فاذا قيل للرجل المتثبّت ثبَت ، فذلك كما يقال له حجّة ، وكما يقال رجل عدْل . كل هذا وصف بالمصدر للمبالغة . فأما الوصف الأصيل الدائر على ألسنة المحدثين فهو ثبْت بسكون الباء ، وهو الذى تحمل عليه عبارة ياقوت . فضبط الباء بالفتح إن لم يكن غلطاً فهو عبث

٥ — جاء فى ص ١١٥ ج ١ : أُضقْت إضاقة شديدة الخ . فى الصواب أَضَقت . ويريد الأستاذ محمود أن يصوبها مبنية للمجهول . كأن الرجل يقول : أضاقنى الزمان فأُضقت أى صرت ضيقاً . وهذا تعسف لنصر الغلط على الصواب . والوجه أن يقال : أضاق الرجل كأعسر . قال صاحب اللسان : « أضاق الرجل فهو مضيق إذا ضاق عليه معاشه . وأضاق أى ذهب ماله » فما بالنا نعدل عن المنهج الواضح الى بُنَيّات الطريق ؟

٦ — وجاء فى ص ٢٠٩ : نزل ثغر المُصَيْصَه . قلت الصواب : المَصّيصَه ، وقال الأستاذ إنها المِصّيصه ، واحتج بكتابه إعجام الأعلام . وأيد حجته بقولين متناقضين : قول صاحب القاموس بأنها كسفينة ؛ وقول صاحب التقويم إنها مِصّيصة . ثم خطّأ الناقد والمنقود وجعلنى أوفر نصيباً من اللوم ؛ وأنا أحتج عليه بقول ياقوت نفسه ، قال فى معجم البلدان : « المَصّيصَه بالفتح ثم الكسر ثم التشديد وياء ساكنة وصاد أخرى . كذا ضبطه الأزهرى وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى الخ » ومثل هذا فى اللسان . ثم أقول للأستاذ إن كان الناقد حين يخطئ أجدر باللوم من المنقود ، فما تقول فى خطأ ناقد الناقد ؟

٧ — جاء فى الكتاب ص ٢٤٠ : أنه من غُمار الناس وصغارهم . قلت الصواب : غمار بالكسر . وصوّب الأستاذ الوجهين ، واعترف المصحح أن الكسر أولى ، وأن الضم غلط المطبعة ؛ وأنا أقول مع الأستاذ محمود إنه لم يخطئ فى هذا ولم تخطئ المطبعة

وبعد ، فأسأل الأستاذ الفاضل : ما رأيه فى بقية الغلطات التى أخذت على الجزء الأول ؟ لماذا لم يتعرض لها فى مقاله ؟ وإن كان راضياً بها فلماذا لم يصرح بهذا ؟

* * *

وأما الأستاذ عبد العظيم قناوى فقد شارك الأستاذ مصطفى فى كلمتى « هَمّه وميسُرة » . وقد تقدم الكلام فيهما . وبقى من ردّه قوله فى البيت :

أمغطِّ منى على بصرى بالحبِّ (م) أم أنتِ أكمل الناس حسنا

إن هذا الضبط جائز — وهذا غلط بيّن ، فالشطر الثانى خطاب لامرأة . وهو لا يستقيم مع هذا الضبط . ثم المسألة ليست مجالاً للرأى بل هى رواية يجب أن تتبع ، والبيت فى كتب الثقات كما رويته . وقد اعترف المصححون أنفسهم بالوجه الصحيح الذى نبّهتُ اليه

وقوله إنه يجوز فى « أما كسهم ويزيدونى » حذف النون . وذلك محلّ للكلام على الأوجه الشاذة . وقد تقدم القول فيه وجاء فى الكتاب ص ٢١٢ .

يخال بأن العرض غير موفر عن الذم إلا أنه يُذال له الوفر

فقلت الصواب يذال — وقال الأستاذ « ويذال ليست خطأ بل لعلها أوقع فى المعنى الخ » وأنا أقول إنها خطأ لأن البيت فى مدح رجل . ومعناه أن هذا الممدوح يظن أن عرضه لا يبرأ من الذم إلا إذا بُذل ماله وأُذيل أى امتهن — وإذا قُرئت « يذال » كان البيت ذما . ويكون معناه أنه يظن أن عرضه لا يسلم إلا إذا أُذيل له المال أى صار غنياً . وهذا ليس من المدح فى شىء

وأختم بشكر الأستاذ على حسن ظنه ، ولومه على مبالغته فى الثناء علىّ . والله يهدينا جميعاً للتى هى أقوم

* * *

وأما أستاذنا عبد الخالق عمر فقد وجهت اليه كلمة بارّة فى

المقال السابق ، ثم اطّلعت على مقالات له فى القطم . وأنا أسأل الله أن يعينني على تناسى هذه المقالات . وأرى أن من الخير لى وله ألا أناقشه فيما قال . فسأستمر فى نقدى فارضاً أننى لم أقرأ ما كتب متمنيا أنه لم يكتب

ثم أعود الى الموضوع متمماً نقد الجزء الثانى من الكتاب ، وقد وعدت فى المقال السابق أن أبين ما أخذته على تعليق الناشرين ، ولكنى أتقدم بتبيين أغلاط كتبتها ثم سهوت عن الحاقها بأخواتها فى ذلك المقال

ص ١٩٩ : قول البديع ردّ على الخوارزمى هجاء الصحابة هلا نهتك الوجنة الموشومه عن مشترى الخلد ببئر رومه

والصواب مشترِى بالكسر . ومشترى الخلد الخ هو عثمان ابن عفان ، وقصة شرائه بئر رومة فى المدينة ووقفها على المسلمين معروفة . ثم هذا البيت لم يستحق تفسيرا من الناشرين الذين يكلفون فى مواضع أخرى بأن يفسّروا الماء بالماء

ص ٢٣٧ : فقال هذا زنبيل الحوائج الخ — وفى الحاشية : وفى الأصل زبيل الحوالج تحريفاً — أقول التحريف ما فعله المصححون ، فأما الزبيل فهو أفصح من الزنبيل أو هو معربه ، وقد اقتصر عليه صاحب القاموس ولم يذكر الزنبيل ، وذكره صاحب اللسان بعد الزبيل ثم قال : وقيل الزنبيل خطأ وإنما هو زبيل اهـ . وقال المعرى :

أيها الجامع الكنوز أزرّ أم زبال من نملة فى زبيل

وأما الحوالج فالظاهر أنها جمع حالجة المرأة تحلج القطن ، وزبيل الحوالج يجمع فيه ندافة القطن ، وقد جُعل فى الكتاب مثلا فليرجع إليه

ص ٢٤٢ : فى أخبار جحظة البرمكى أنه كان يلقب خَنْيا كر وفى الحاشية : « كلمة فارسية معناها المثنّى » . وهذا التفسير صحيح ، ولكن كيف ضبطت الكلمة هذا الضبط ؟ هل أجراها المصححون مجرى الأعلام الأعجمية وجروا فيها على المذهب الذى نشر فى القطم فأجازوا فيها كل تحريف ؟ والصواب خُنيا كَر

ص ٢٥٨

ماذا ترى فى جَدْيٍ وفى سمار وارد
وقهوة ذات لون يحكى خدود الخرائد

والوزن لا يستقيم فى الشطر الأول فينبغى أن يكون : ماذا ترى فى جُدَىّ — تصغير جدى . ولا يضره الصغر إذا كان لحمه لذيذاً

ص ٢٧٢ : قول جحظة البرمكى فى قصة رجل أعطاه ثيابا وعتيدة وهى وعاء للطيب : « فخرجت كأنى لص قد خرج من بيت قوم ، على قفا غلامى الثياب والعتيدة كارة » والكارة رحل الثياب . فرأى المصحح أن يحذف كلمة « كارة » كرها ويضع مكانها كلمة « كلها » وكتب فى الحاشية : كانت رواية الأصل كارة ، ولا معنى له » وقد عرف القارئ أن له معنى وأن الصحيح غير متن الكتاب غلطا ، وقدمت لهذا نظائر وسيأتى :

ص ٢٧٩ : قول جحظة :

يا من دعانى وفر منى أخلفتَ والله حسن ظنى
قد كنت أرضى بخبز رزّ وملح أو قليل بُنّ

وأرى أن الصواب فى القافية الثانية بُنىّ بالياء . وهو ضرب من السمك لايزال معروفا بهذا الاسم فى مصر والعراق . وفى بعض الأغانى العامية المصرية بنىّ يا سمك بنىّ . وليت الناشرين فسروا كلمة بُن هنا فهى فى حاجة الى التفسير

ص ٢٨٠ يقول بعض الشعراء إلغازاً عن الدواة والأقلام :

أحاجيك . ما قبر عديم ترابه به معشر موتى وإن لم يكفّنوا
سَلَوْتُ عن التبيان مدة قبرهم فان نبشوا يوماً من الدهر يبْنوا

وهو إلغاز عن الأقلام فى الدوىّ القديمة

والتحريف فى كلمة سَلَوْتُ ، والصواب سُكُوتٌ الخ

ص ٢٨٣ فى الكلام عن أبى نصر الباهلى الذى يقال إنه ابن أخت الأصمعى : « وكان أثبت من عبد الرحمن يعنى ابن أخت الأصمعى وأسنّ » . والمعروف أن عبد الرحمن ابنُ أخى الأصمعى لا ابن أخته . وصاحب الأمالى يكثر الرواية عن عبد الرحمن عن عمه (الأصمعى)

ص ٢٨٥ وكان يسكن باب الأزَجّ . والصواب الأزَج بغير تشديد . وهو اسم محلة كبيرة كانت فى الجانب الغربى من بغداد

وبضيق مقال اليوم عن الكلام فى مآخذ التعليق على هذا الجزء فموعدنا العدد الآتى إن شاء الله والله ولى الهداية

إلى الصواب

عبد الوهاب عزام

العالم المسرحي والسينمائي

شركة أفلام الشرق

ومجهودها فى اخراج « نشيد الأمل »

تقرر أن يعرض فلم نشيد الأمل فى يوم الاثنين ١٢ يناير سنة ١٩٣٧ بسينما رويال ، والمعروف أن هذا الفلم لم يستغرق فى إعداده أكثر من ٨٠ يوماً ، وهذه المدة القصيرة تشهد بالجهود الكبيرة التى بذلها رجال الشركة فى إخراج هذا الفلم العظيم . ويقول رجال الشركة إن الفضل فى هذا التوفيق يرجع إلى معاونة العناصر الفنية فى مصر وتضافرها على نجاح هذا الفلم ؛ فأولا استديو مصر — ذلك البناء الشامخ الذى يعتبر الدعامة الأولى فى نهضتنا السينمائية والذى خطا بصناعة الأفلام خطوة جريئة واسعة — وضع تحت تصرف الشركة كامل معداته الحديثة وجهد فنانيه ، فقاموا بأحسن ما فى وسعهم من جهد فنى

فالتصوير قام به سامى بريل المصور الأول للاستديو فجاء متقناً بديعاً ، وتسجيل الصوت قام به مصطفى والى بمعاونة عزيز فاضل فجاء واضحا جليا ، وبناء المناظر (الديكور) قام به ولى الدين سامح بمعاونة يوسف بهجت فكان شاهداً على حسن الذوق والدقة ، والفنكر (الماكياج) قام به ستراتج الروسى بمعاونة حلمى رفله المصرى الذى اشترك فى أكثر الأفلام المصرية نجاحا

أما الاخراج فكان من نصيب الأستاذ أحمد بدر خان وهو شاب وديع هادىء مفكر يشع الذكاء من عينيه ، وقد كان بين أوائل المصريين اهتماما بفن السينما ؛ وهو مبعوث شركة مصر إلى فرنسا لدراسة هذا الفن . ونشيد الأمل هو أول عمل فنى يقوم بإدارته ؛ وطبيعى أنه ركز كل قواه ومعلوماته فى هذا الفلم حتى جاء تحفة رائعة . وقد عاونه فى عمله صديقه الشاب جمال مدكور

هذا والفلم يحوى عدا الآنسة أم كلثوم مجموعة من خيرة الممثلين فى مصر وعلى رأسهم الأستاذه زكى طليمات ، بعثت الحكومة المصرية لدراسة التمثيل فى أوربا وعباس فارس وفؤاد شفيق وغيرهم من كبار ممثلى الفرقة القومية وممثلاتها

الفاكهة المحرمة

للأستاذ أحمد عبد الرحمن قراعه المحامى

والأستاذ محمد السوادى

وأخيراً بعد صراع عنيف بين لجنة قراءة الروايات فى الفرقة القومية ، وبين المؤلفين قدر لهذه المسرحية أن تظهر على مسرح الأوبرا ، وأن يستمتع الجمهور بمؤلفة مصرية ممتازة نالت رضا رواد المسرح واستحسانهم ، لأن الرواية تمس جانباً من حياتهم . ولعل فى النجاح الذى تعاون عليه المؤلفان وممثل الدور الأول الأستاذ أحمد علام ما يجعل الفرقة القومية ورجال اللجنة تعطى الأفضلية للروايات المصرية ، فليس من شك أن الفاكهة المحرمة نالت من الاقبال ما لم تنله الروايات الأخرى فى هذا الموسم

لئن عيب على المسرحية المصرية أنها ما برحت تفتقر إلى الطابع الأصيل الذى يميزها عن الروايات الغربية لخلو أدبنا القديم من هذه الصورة من الأدب ، فإن هذه الرواية تختلف عن هذا النوع ؛ إذ تتميز بهذا الطابع تميزاً ظاهراً ، فهى قطعة من صميم الحياة والبيئة المصرية ، تتصل بحياتنا وتقاليدنا وروحنا أوثق اتصال ؛ وهى تقوم على الصراع بين الشباب الذى يأبى لنفسه أن يهن أمام الشيخوخة التى لا تعرف من الدنيا إلا الاعتزاز بالثروة ، وعلى الصراع بين النطق المستمد من الحكمة وجموح الرغبة ، ولكن ... فى ظل التقاليد !!!

ليس من شك فى أن أدبنا يفتقر إلى الوراثة المهذبة فى فن صياغة المسرحية ، فليست لنا تقاليد ولا آثار سابقة كما قلنا ؛ ولهذا فإن كتابنا الذين يعالجون المسرحية ما برحوا يأخذون بتقاليد المسرح الغربى وينحون نحوه . فالمؤلف فى مصر يقف بين ثقافتين الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية ؛ فالأولى تهتم بالمناقشات والحركات المسرحية المتصلة والشخصيات المشتبكة المعقدة ؛ والثانية تعنى بخلق الجو الهادىء والشخصيات الواضحة البسيطة

فضل مؤلفا هذه المسرحية الثقافة اللاتينية ، بل قل المدرسة الفرنسية ، فجعلا الحوادث تتجدد ، وجاءا بشخصيات تعاون على ابراز الشخصيات الرئيسية فى المسرحية ، وبهذا كثرت الحركة المسرحية والنشاط ؛ ولكن فى رأيى أنهما لو سلكا الطريق الآخر وأعطيا هذه العناية للشخصيات الرئيسية لكان توفيقهما أتم . فهذه شخصية (فاضل) ذلك الصديق الذى يحب (درية) وشخصية (زوزو) ابنة صاحب الجريدة التى تحب (حسن) لو فكر المؤلفان فى الاستغناء عنهما أو الاستغناء عن الشخصية الثانية وتصحيح موقف الشخصية الأولى منذ بدء الفصل الثانى ، فأنا زعيم بأن ختام المناظر يكون أهدأ وأفعل فى النفس أثراً ، ولرأينا صورة بارزة من المسرح المتزن الذى يجعلنا نلتذ للتكشف الهادىء للحادثة ويصدم أذهاننا فيبعثنا على التأمل والاعتبار بالحوار ومناقشة الرأى . ولو أن لى أن أشير بنصيحة لطالبتهما بهذا الاصلاح

على أن هـذا الرأى قد يكون متأثراً بعض الشىء بثقافتى الكلاسيكية وحبى للمسرح الانجليزى ، ولكنى ألتقى به مع اعتقادى بأن المسرحية قطعة أدبيـة ممتازة بشخصياتها الرئيسية الكاملة التصوير ، والجو المصرى الخالص الذى تعيش فيه هذه الشخصيات ، والأسلوب الرائع للملوس فى نواحى المسرحية

اشترك فى تأليف المسرحية الأستاذان أحمد عبد الرحمن قراعة المحامى المعروف ومحمد السوادى الصحفى ؛ وقد يصعب على الناقد أن يفرق بين عمل مؤلفين أتما رواية واحدة معاً ، ولكن المسرحية من حيث الأسلوب وطريق التفكير والشخصيات تنم عن قراعة أكثر مما تنم عن زميله

يقول « بيفون » الكاتب الفرنسى الكبير : إن الأسلوب هو الرجل . وليس من شك فى أن أسلوب قراعة القوى قد نم عليه ، وليس الأسلوب وحده ، بل كذلك الشخصيات وطريق التفكير ؛ والمأساة تدل على أن له النصيب الأوفر فى هذا العمل

فنحن نرى الشخصيات تنحنى أمام قوة التقاليـد ، وحتى حسن ودرية ، وهما من أصحاب الثقافة العالية ، لا يفكران فى الثورة على التقاليد والنظم بل يخضعان ويقبلان التضحية من أجل والديهما ؛ ثم النهاية القاسية التى تفرق بين حسن ودرية ، لأن الشرع يحول دون زواجهما — تنم عن روح قراعة رجيب بيت التقاليد وبيت الافتاء

الاخراج والتمثيل

ظهرت هذه المسرحية من غير مخرج ، فقد كانت من نصيب الأستاذ زكى طليمات ، وقد بدأ فعلا فى تدريب الممثلين ، فلما ترك الفرقة وقامت العقبات فى سبيل ظهور هذه المسرحية أهملت ، وأبى الأستاذ عزيز عيد أن يتم إخراجها ، فقام الممثلون أنفسهم بهذا العمل وعاونهم الأستاذ أدمون توما منظم المسرح

وأفلح الممثلون فى مجهودهم ، كما وفق الأستاذ أدمون توما فى اختيار المناظر واختيار ألوان الضوء وتوزيعه كما يتناسب وجو المسرحية . وأقرر أن هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها مسرحية مصرية اكتمل فيها الضوء وكان عونا للممثلين ؛ وأرجو أن تهتم الفرقة بهذه الناحية ، وتسند إلى الأستاذ توما الاضاءة دائماً

قام الممثل الأستاذ أحمد علام بالدور الأول ، فكان لظهوره رنة فرح بين جمهور المعجبين به الذين احتجب عنهم زمنا غير قصير . ولقـد أظهر براعة فائقة فى دور حسن بك . وإنى لأذكر له موقفه البديع فى الفصل الأول وهو يكاشف درية بحبه ، وفى الفصل الثالث بعد عودته الى البيت وحديثه مع درية زوجة أبيه ، ذلك الحديث الهادىء الذى يدل على مايضطرم فى نفسه من شتى الاحساسات ، إحساسات الألم والحب المكبوت وما إليها . وكذلك فى الفصل الرابع وهو يتحدث مع شقيقته ، وبعدها وهو يتحدث الى درية ، ويعرف أنها تضمر له الحب ، يسمو فى هذه المواقف ويصـل الى قلوب النظارة فيحركها بالألم

ويأتى بعد علام فى النجاح السـيدة ثريا فخرى التى مثلت دور الدادة ، فقد وفقت فيه توفيقاً كبيراً وأدته أداء طيباً يعجز ممثلات الفرقة عن إدراكها فيه . وكان سراج منير موفقاً فى إبراز شخصية والد درية . وكانت (روحية خالد) بديعة فى تأدية دور شقيقة حسن ، وكانت حسـنة الالقاء خفيفة الظل ، كما كان محمود رضا عذب الروح فى دور نسيم أفندى مضحك الأسرة

وقامت الآنسة فردوس حسن بدور درية ، وهو الدور الأول فى هذه الرواية ، فبذلت مجهوداً لا بأس به ، إلا أنها لم تعن العناية الكافية بابراز عاطفتها وإحساساتها فى شتى المواقف ، وأن تكون أقل سرعة فى إلقاء كلماتها . والأستاذ منسى فهمى قام بدور محيى بك ، ويخيل إلى أنه لم يهتم به اهتمامه بأدواره السابقة ولم يعره جانب عنايته ، ولكنه فى الفصل الرابع أبدى بعض العناية فأنقذ الشخصية فى النهاية

يوسف تادرس
الناقد الفنى